٢٩ سببًا للانهزامية

إعداد
خالد بن إبراهيم الصقعبي

دار المسلم للنشر والتوزيع

© دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصقعبي ، خالد بن إبراهيم

٢٩ سبباً للانهزامية .- الرياض.

١٣٦ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك ٣ - ٩٠ - ٦٣٢ - ٩٩٦٠

١- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٩/٢٨٤٩

رقم الإيداع : ١٩/٢٨٤٩

ردمك : ٣ - ٩٠ - ٦٣٢ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعـــة الأولـــى

١٤١٩هـ ١٩٩٩م

الصف والإخراج

مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس : ٤٩٣١١٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

ربما صاح فينا داعي الفطرة والإيمان فهممنا بشق طريق الدعاة إلى الله؛ طريق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لكن ما يلبث الواحد منا إلا أن يخبو هذا النداء في نفسه حيناً وينساه في أحيان كثيرة. وهنا يرد هذا السؤال؛ ما سبب ذلك؟

إنها الانهزامية التي قيدتنا عن السير في هذا الطريق.

إنها انهزامية حصدناها مراً علقماً يوم أن سرنا في أسبابها، وإنك لا تجني من الشوك العنب. من أجل هذا جاءت هذه الرسالة غير أنه يلزم التنبيه على أنني لا أبحث من خلال هذه الرسالة طرق ووسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتلك لها مظانها في كتب ورسائل مدونة لهذا الشأن. فهذا تنبيه وبعده طلب لمن قرأ هذه الرسالة أن يفيد غيره بها فهي ليست لأهل الخير والالتزام فقط، وإنما هي موجهة إلى عامة الناس لأنهم من جملة المسلمين المطالبين بهذا الأمر فإن كنت ممن يعنى بهذه الرسالة فهو حديث النصح لك. وإلا فأنت تعرف ـ تعرفين ـ من تخاطب هذه الرسالة فإذا بك تتحمل ـ تتحملين ـ بلاغها إلى الآخرين.

كتبه
خالد بن إبراهيم الصقعبي
القصيم ـ بريدة
ص. ب ٧٤٧

الانهزامية

لغة: هزم الشيء يهزمه هزماً فانهزم: غمزه بيده فصارت فيه وفره كما يفعل بالقثاء ونحوه.

وتهزمت القربة أي يبست وتكسرت فصوتت.

والهمزعة في القتال الكسر والغل.

والهمزمة ماتطامن من الأرض!! والهزم ما اطمأن من الأرض وفي الحديث «إذا عرستم فاجتنبوا هزم الأرض فإنها مأوى الهوام»[1] هو ما تهزم منها أي تشقق.

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ٣/١٩٢٦ بلفظ: «.....وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها مأوى الهوام بالليل».

الشرع ينبذ ذلك

نعم لقد تواترت نصوص الكتاب والسنة على نبذ السير في هذا الطريق أعني به طريق الانهزامية، لقد جاءت تلك النصوص من الكتاب والسنة ونقول السلف ومن جاء بعدهم من الخلف. جاءت تلك النصوص والنقول لتكون نبراساً لمن أراد الاحتذاء والاقتداء. جاءت لترفع خسيسة عقول تطامنت حينما ظنت أن الدعوة حوقلة واسترجاع فقط، حتى أصبح هم الواحد من أولئك الحديث في المجالس عن المنكرات ليس إلا. يقول ذلك وقد امتعض وجهه ويرى أن الذمة قد برئت بذلك، حينها ينام قرير العين مطمئن البال. جاءت تلك النصوص لتقول لأولئك ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا

﴿تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[١] فلم التخاذل؟ ولم الانهزامية؟

دونك أخي المسلم، أختي المسلمة تلك النصوص لعلها تكون عامل إيقاظ للهمة لإحياء السنة وإماتة البدعة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي لا تضعفوا بسبب ما جرى[٢] فالعاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون)[٣].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا. . .﴾ الآية[٤].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.
(٢) قال تعالى ذلك مخاطباً عباده لما أصيبوا يوم أحد.
(٣) ابن كثير ١/ ٤١٧.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

أي الذي توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما أكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل[١]. نعم فلم يكن كثرة أعداء الحق ـ وهو أعظم الأسباب وأشدها ـ سبباً يعلق عليه القعود عن واجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل أمروا أن يستعينوا على الله ويمضوا في طريقهم وقد استعانوا على الله قائلين: (حسبنا الله ونعم الوكيل).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[٢]، قال السعدي رحمه الله قال: (أي عبدالله بن أبي بن سلول) لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل بزعمه

(١) ابن كثير ١/ ٤٣٩.
(٢) سورة المنافقون، آية: ٨.

أنه هو وإخوانه المنافقين الأعزون وأن رسول الله ﷺ ومن اتبعه هم الأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق فلهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهم الأعزاء والمنافقون وإخوانهم من الكفار هم الأذلاء. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾. فلذلك زعموا أنهم الأعزاء اعتزازاً بما هم عليه من الباطل)[1] فياليتنا نستشعر معنى هذه الآية العظيمة، إنني أقول: لو لم يكن لنا نبراسٌ لنظهر العزة إلا هذه الآية لكفتنا لكن هناك فرق بين الواقع وبين ليت.

(١) السعدى ٧/ ٣٨٩.

من صور الانهزامية

أخي المسلم. . . أختي المسلمة: إنما أردت من خلال ذلك ذكر بعض الصور ـ وهي ليست على سبيل الحصر ـ، تلك الصور التي هي نزر يسير من منكرات تحدث في واقعنا وبين أظهرنا نلتزم حيالها الصمت الذي لا أجد له مبرراً إلا الضعف والهوان الذي يسكن نفوسنا، أذكرها حتى يتبين لنا أهمية طرق مثل هذا الموضوع وإبرازه ومن ثمَّ بحث أسبابه وعلاجه.

فصورة أولى: صورة ذلك الشاب الذي رفع عقيرته ليرفع صوت مسجله بأغنية ماجنة يتراقص معها يمنة ويسرة كان يفعل ذلك بصورة أقل وعلى استحياء فلما لم يجد ناصحاً مشفقاً صار إلى ما صار إليه ثم نحن نقول: لم يفعل مثل هذا ذلك؟

وصورة ثانية: صورة امرأة حضرت في مناسبة تلبس لباساً فاضحاً ـ وليكن بدون أكمام مثلًا ـ ثم هي في أول الأمر تحاول إخفاءه عن فلانة وعلانة بغطاء تضعه على كتفها فلما لم تجد من تنكر عليها وصل حالها إلى أن تبجحت بأكثر من ذلك بل وأصبحت من الداعيات إلى ذلك. ثم تأتي بعض نسائنا لتقول لم يحدث ذلك؟

وثالثة: صورة ذلك الرجل الذي هو من أهل الخير والصلاح نحسبه كذلك إن شاء الله تعالى، نشهد له بذلك لكونه من أول الحاضرين إلى المسجد من بعد الأذان مباشرة، يمر في أثناء طريقه بمجموعةٍ من الشباب اتخذوا مكاناً قصياً ليتخلفوا عن الصلاة، على أثر ذلك ثم لا يكلف نفسه بنصحهم وإرشادهم. ثم هو يتساءل مع جماعة المسجد لم يتخلف أولئك؟

ورابعة: صورة تلك التصرفات اللاأخلاقية من فئة

من الشباب في المصائف وأماكن الترفيه حيث يتعرضون للغادي والرائح فيكون هم الواحد منهم أن يلملم عائلته مغادراً ذلك المكان، ولكنه لم يفكر بنصح أولئك وتحذيرهم من مغبة عبثهم ولعبهم. ثم يأتي بعد ذلك ويقول لم يحدث مثل ذلك؟

إنها صور وليست كل الصور يتبين لنا من خلالها وغيرها أن انتشار الباطل ناتج عن أمرين:

أولهما: عبث أهل الباطل.

ثانيهما: سكوت أهل الحق وإلا لما كان الساكت عن الحق شيطاناً أخرساً، بينما كان المتكلم بالحرام شيطاناً ناطقاً.

من مظاهر الانهزامية

تلك هي بعض المظاهر التي تنبىء عن حقيقة لا جدال فيها أن كثيراً من المسلمين أصيب بهذا الداء، فتكشفت لنا الحقائق التي لا نستطيع إخفاءها مهما أوجدنا لأنفسنا المبررات العقيمة التي من خلالها أقنعنا أنفسنا أننا نسير على الطريق الصحيح بينما نحن حقيقةً نسير في الاتجاه المعاكس «طريق الانهزامية» أورثت لنا مظاهر للانهزمية دونك بعضها لعلها تكون سبباً للبحث عن الأسباب ومن ثَمَّ سلوك مرحلة العلاج:

١ ـ اندثار بعض السنن فأصبح فاعل السنة يشار إليه بالأصابع احتقاراً وازدراءً بل ربما اتهم في عقله.

٢ ـ مجاهرة أهل الباطل ومجاملتهم بحجة المدارة، وبين المدارة والانهزامية كما بين الثرى

والثريا، وليس هذا مجال تفصيل لذلك، لكنني أقول: لطالما داهن بعضنا أهل الباطل وجاملهم؛ تارة بحجة عدم مناسبة الوقت للإنكار؛ وتارة أنه مناسب لكن غيره أنسب منه وهو ليس كذلك وتارة مداهنة ومجاملة لمصالح دنيوية وهكذا حتى يتولد من جراء ذلك في نفس العاصي إقراراً وفي نفس الآخر مداراة بينما لو صدق لسماه «انهزاماً».

٤ ـ المكث في المكان وعدم الانتقال من مكان المنكر وإظهار عزة المسلم.

إنه مظهر من مظهار الانهزامية، فكم من منكر قام سوقه في مجلس من المجالس وإذا بذلك الذي لا يرضى بذلك ولكنه أصيب بداء الانهزامية لا يكتفي بعدم إنكاره، وإنما يضيف إلى ذلك فحشاً آخر يتململ ويتلفت يمنة ويسرة ثم لا يلبث إلا أن يقنع نفسه بعدم القيام من مكان المنكر لمصالح متوهمة في نفسه

الضعيفة، حينها يترسم الانهزام في النفس ويملك أولئك القوم دليل إقرار على منكرهم بجلوس ذلك الخيّر وتلك الخيّرة وهكذا يقوم سوق الباطل.

٥ ـ التردد في إنكار المنكر بحجج واهية تقدم ذكر شيء منها عند المظهر الثالث.

٦ ـ الحياء «المذموم» من إظهار بعض الشعائر الدينية ودونك بعض الأمثلة: أليس البعض يجد حرجاً من رفع الأذان في المجمعات العامة كالمنتزهات مثلاً.

والدليل على ذلك كم من مرة سمعنا مثل هذا الصوت بينما نحن نسمع صوت الباطل يمنة ويسرة. ودونك مثال آخر أين أولئك الذين يرفعون أصواتهم بالتكبير في ليلة العيدين في المجمعات والأسواق، مجرد أمثلة فقط وإلا فالشواهد على هذا المظهر أكثر من أن تحصى. أوليس ذلك مظهراً من مظاهر الانهزامية؟

٧ ـ عدم الثبات على المبادىء (وهو ما يسمى بالتقلب) وهذا المظهر قد يكثر في النساء خاصة، وليس معنى ذلك أنه لا يوجد في الرجال ولكنه في النساء أكثر فتجد تلك الخيّرة بل ربما قد تكون داعية للخير لا تثبت على حال نتيجة لضغط الواقع والمحيط الذي تعيشه ويظهر ذلك في قصات الشعر والألبسة وتتبع الموضات. لا أقصد من وراء ذلك أن تلك الداعية تلبس مالا يرضي الله تعالى، ولكنها للواقع الذي تعيشه قد تهتم بما لا يليق بمثلها أن يهتم به كل ذلك يُحدث عندها تقلباً في الموازين فما تراه بالأمس حسناً قد يكون سيئاً في هذا اليوم، والعكس كذلك، فيورث عندها تقلباً في المبادىء وبالتالي يورث عندها انهزامية بحيث يؤدي بها الحال إلى عدم الإنكار وإن أنكرت فحظها عدم سماع الكلام منها. أشرت إلى تلك الفئة لأهمية مثل هذا الأمر في حقهن، وإلا فإنه

يلحظ انتشار داء التقلب عموماً في تلك الفئة التي لا إلى هؤلاء فيكون مثل هذا ليس سبباً في انهزامها وعدم إنكارها فقط، بل ربما كان عائقاً في سير التزامها.

هذه بعض المظاهر وليس المجال مجال حصر لها. وقد يكون هناك من الأسباب التي سيأتي طرقها ما هو سبب وهو في نفس الوقت مظهر لكنني ألحقته مع الأسباب لكونه أقرب شبهاً بها.

وبالجملة فإن كل مايمنع الإنسان من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجحان المصلحة وانتفاء المفسدة مع قدرة الإنسان على الإنكار فكل ما يعيقه عن ذلك فهو مظهر من مظاهر الانهزامية مهما أعطاه الإنسان من صبغة شرعية فيبقى هو مظهراً ومسماراً في نعش الانهزامية، فعلى الواقع في مثل ذلك حينها أنه يتنبه لهذا المظهر ليشخص الداء ويشرع في الدواء قبل

أن تستحكم عليه الغفلة فيصبح الأمر بالمعروف عنده ما تعارف عليه وإن كان باطلًا والمنكر عنده ما أنكره الناس وإن كان حقًّا.

الأسباب والعلاج

لكل شيء سبب والله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[1]. فجعل المشي في الأرض والسعي عليها من أسباب الرزق. ففعل السبب لا ينافي التوكل بل هو التوكل ولذلك ربط النبي ﷺ البراق في حلقة بيت المقدس مع يقينه بقدرة الله تعالى على حفظه فعلًا للسبب، لذا قمت بذكر بعض الأسباب وذكرها ليس لأنها أسباب شرعية يسوغ للإنسان معها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما ذكرتها من باب تشخيص الداء وأتبعت ذلك بذكر

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

العلاج فما من داء إلا وله شفاء[١] فدونك إياها:

١ ـ **ضعف الإيمان بالله تعالى**، فهذا السبب سبب لكل بلية ورزية وضعف الإيمان له مظاهر كثيرة جداً منها: عدم الغيرة والغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل لأن لهيب الغيرة في قلبه قد انطفأ، فتعطلت الجوارح عن الإنكار، فلا يأمر صاحبه بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يتمعر وجهه قط إذا انتهكت محارم الله. والرسول ﷺ يصف هذا القلب المصاب بالضعف بقوله في الحديث الصحيح: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها (أي دخلت فيه دخولاً تاماً) نكت فيه نكتة سوداء (أي نُقط فيه نقطة)** حتى يصل الأمر إلى أن يصبح القلب كما

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة برقم ٥/ ٥٣٥٤، ومسلم بلفظ «لكل داء دواء....» الحديث من حديث جابر ٤/ ٢٢٠٤.

أخبر عنه عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث: **أسودًا مرباداً (بياض يسير يخالطه السواد) كالكوز مجخياً (مائلًا منكوساً) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»**[١] فهذا زال من قلبه حب المعروف وكراهية المنكر لضعف في إيمانه فاستوت عنده الأمور فما الذي يدفعه إلى الأمر والنهي، بل إنه ربما سمع بالمنكر يعمل في الأرض فيرضى به فيكون عليه من الوزر مثل وزر من شاهده فأقره كما ذكر عليه الصلاة والسلام ذلك في الحديث الصحيح حيث قال «**إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شاهدها فكرهها ـ وقال مرة أنكرها ـ كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»[٢] فهذا الرضا منه وهو

---

(١) رواه مسلم رقم ٤١٤٤.

(٢) رواه أبو داود رقم ٤٣٤٥ وهو في صحيح الجامع ٦٨٩.

ـ عمل قلبي ـ أورثه منزلة الشاهد في الإثم[١] نعم؛ إن الواقع يصدق ذلك فترى في واقعنا أناساً ربما كانوا من جملة العوام يحملون في قلوبهم غيرة على محارم الله أن تنتهك لطالما إذا حدثوا عن معصية بكوا وما أوصلهم إلى هذه الحالة من الغيرة إلا قوة في إيمانهم، بينما نرى في واقعنا أناساً هم من جملة طلبة العلم لا يتغير وجه الواحد منهم لانتهاك حرمات الله تعالى فضلًا عن أن يقوم بالإنكار وما سبب ذلك إلا لضعف الإيمان في قلبه.

وعلاج هذا أن يسعى الإنسان لزيادة إيمانه وإنما يكون ذلك بأمور أذكرها إجمالاً لأن المجال هنا ليس مجال بسط فمن العلاجات النافعة لزيادة الإيمان (تدبر القرآن ومنها استشعار عظمة الله تعالى، ومنها طلب

---

(١) من كتاب ظاهرة ضعف الإيمان؛ الشيخ المنجد بتصرف يسير ص١٢، ١٣.

العلم الشرعي ولزوم حلق الذكر، ومنها الإكثار من الأعمال الصالحة، ومنها تذكر منازل الآخرة ومنها تنويع العبادات، ومنها الخوف من سوء الخاتمة، ومنها ذكر الله تعالى والإكثار منه، ومنها الدعاء ونحو ذلك.

(ألا وإن من المرتكزات المهمة في فهم ضعف الإيمان وتصور علاجها هو معرفة أن الإيمان يزيد وينقص وهذا من صحيح اعتقاد أهل السنة والجماعة. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾[٢] وقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٣] قال بعض السلف: من فقه العبد أن

(١) سورة الفتح، آية: ٤.
(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٤.
(٣) رواه مسلم ١/٧٨.

يتعاهد إيمانه وما ينقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه؟ أو ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه فنقص الإيمان إذا أدى إلى ترك واجب أو فعل محرم فهذا محرم فهذا فتور خطير، صاحبه مذموم يجب عليه التوبة إلى الله والشروع في علاج نفسه[١].

فتبين من خلال هذا أن علاج ظاهرة ضعف الإيمان إنما يكون ذلك بأمور بينت طرفاً منها. ويكون ذلك في فهم زيادة الإيمان بالطاعة ونقصانه بالمعصية فيعود أثر ذلك على المسلم بسلوك سبل الخير التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ **ضعف جانب العبادة عند الإنسان** فإذا كان الإنسان كذلك فإنه لا يكون لديه الدافع للأمر

---

(١) من كتاب ظاهرة ضعف الإيمان؛ الشيخ محمد المنجد بتصرف.

بالمعروف والنهي عن المنكر، إن الضعف في جانب العبادة عند بعض الناس قد يتعدى الأمر فيه إلى ضعف في أداء بعض الواجبات، فضلًا عن السنن وفروض الكفايات على القول بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية في بعض صوره دون البعض، فكيف نتصور من إنسان عنده هذا الضعف يحمله في طيات نفسه أن ينكر على غيره فإن الغريق لا ينقذ غريقاً مثله.

وعلاج هذا إنما يكون بتقوية إيمانه وقد سبق ذكر هذا في علاج النقطة الأولى.

٣ ـ عدم تصور أضرار المعاصي والمنكرات على الفرد والمجتمع، وبالتالي لا يتحرك قلب من رأى حدود الله ومحارمه تنتهك، فيقعده ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يظن أنه في مأمن من العقوبة إذا نزلت فإن العذاب إذا نزل عم الصالح ثم

يُبعث الناس على قدر نياتهم.

وعلاج هذا: أن يعلم المسلم علم اليقين أن للمعاصي آثاراً عكسية على العباد والبلاد فما نزلت عقوبة إلا بمعصية، لأن الفساد في الأرض بالمعاصي سبب لخرابها. ولعلي أذكر هنا بعض الأضرار المترتبة على ترك القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علّها تكون رادعاً عن ذلك:

أولاً: وقوع الهلاك وذلك من جهتين:

أ ـ أن المعاصي التي تظهر ولا تنكر سبب للعقوبات والمصائب.

ب ـ أن السكوت ذاته يعد معصية يستحق صاحبه العقوبة كما أنه يدل على التهاون في دين الله عز وجل. هذا إذا كان الساكت عنه فرداً من أفراد المجتمع أما حين يسكت المجتمع بأكمله فإن العقوبة تعم في هذه الحال. كما روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب»[١].

قال ابن العربي في شرحه: (وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات وركوب الذل من الظلمة للخلق. ولما قالت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها: «أنهلك وفينا الصالحون؟» قال النبي ﷺ: «نعم إذا كثر الخبث»[٢].

ثانياً: ومن أضرار المعاصي انتفاء وصف الخيرية عن هذه الأمة لأن خيرية هذه الأمة معلقة بالأمر

---

(١) رواه البخاري ٣/١٦٨، ومسلم ٤/٢٨٨ من حديث زينب بنت أبي جحش.

(٢) رواه البخاري رقم ٣٥٩٨.

بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله والحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.

ثالثاً: أنه يجرىء العصاة والفساق على أهل الخير فينالون منهم ويتطاولون عليهم.

رابعاً: أنه سبب لظهور الجهل واندراس العلم. وذلك أنه إذا ظهر المنكر ولم يوجد من ينكره نشأ عليه الصغير وألفه وظن أنه الحق، كما هو الحال في كثير من المنكرات اليوم.

خامساً: أن في انتشار المعاصي تزييناً لها في نفوس بعض عند الناس ولأن صاحب المنكر كالبعير الأجرب يختلط بالإبل فتجرب جميعاً بإذن الله والناس كأسراب القطا قد جُبل بعضهم على التشبه ببعض.

سادساً: عدم إجابة الدعاء وقد جاء هذا في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «**مروا بالمعروف وانهوا**

عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»[١].

سابعاً: أن تفشي المعاصي سبب لظهور غربة الدين واختفاء معالمه وتفشي المنكرات حتى يصبح المتمسك بدينه غريباً، وحتى تصبح السنة من الأمور المرفوضة. قال الخلال: أخبرني عمر بن صالح بطرسوس قال: قال لي أبو عبدالله: يا أبا حفص: يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع فقلت: يا أبا عبدالله وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟ فقال: يا أبا حفص صيروا أمر الله فضولاً.

ثامناً: إلف المسلم لهذه المنكرات المتفشية لكثرة مشاهدته لها والأمر كما قيل: (كثرة المساس تبلّد الإحساس) فما تعود للقلب تلك الشفافية والحساسية

---

(١) رواه أحمد ٦/ ١٥٩، ورواه ابن ماجه ٣/ ١٣٢٧.

عند رؤية المنكر[١].

أخي المسلم... أختي المسلمة: إن ضرراً واحداً من هذه الأضرار كافٍ للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف إذا كانت هذه هي بعض الأضرار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ـ الانعزال وعدم مخالطة الناس بحجة عدم تحمل رؤية المنكرات فهو لا يغشى تلك الأماكن ناصحاً وإن ابتلي بمنكر صادفه يوماً ألقى برأسه إلى الأرض وسارع الخطى وهو يظن بذلك العمل نصحاً للأمة وبراءة للذمة وتلك والله هي الانهزامية، والتي عن طريقها رفع أهل الباطل عقيرتهم وخبا صوت الحق. لكنه لا يموت.

---

(١) الأضرار من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه؛ خالد السبت ص٨٠ ـ ٨٦ بتصرف.

وعلاج ذلك أن يعلم المسلم وتعلم المسلمة أن للعزلة والخلطة ضوابط لابد من معرفتها وأن ذلك لا يخضع لهوى الإنسان وما يشتهيه، والكلام حول هذا الموضوع يطول لكن لعل مما يحسن إيراده هنا هو الخطوط العريضة للعزلة والخلطة وتبقى التفاصيل يرجع إليها في مظانها[1] فيقال:

لقد أكد الرسول ﷺ على أهمية المخالطة التي تهدف إلى نفع الناس ونصحهم وإلى إقامة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب الرسول ﷺ، بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال: لو اعتزلت الناس وأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى

(١) من هذه الكتب: فتح الباري لابن حجر في المجلد الثالث عشر، وكذلك كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب العزلة للخطابي.

أستأذن الرسول ﷺ فذكرت ذلك لرسول الله فقال: **«لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقته وجبت له الجنة»**[1].

وهذا عبدالله بن المبارك يخاطب المتعبدين وهو يجاهد فيقول:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ١٦٥٠، وأحمد في المسند ٢/ ٥٢٤، والحاكم ٢/ ٦٨٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أو كـــان يتعـــب خيلـــه فـــي بـــاطـــل
فخيـــولنـــا يـــوم الصبيحـــة تتعـــب
ريـــح العبيـــر لكـــم ونحـــن عبيـــرنـــا
وهـــج السنـــابـــك والغبـــار الأطيـــب

وهذه الخلطة تقتضي أمرين:

أولهما: اختلاط الدعاة بعضهم ببعض للتشاور والتناصح فهم رفاق طريق واحد وأخوة درب قاصد.

ثانيهما: اختلاط الدعاة بالناس الذين يأمرونهم وينهونهم حتى يكون أمرهم ونهيهم وتعليمهم مناسباً لحالهم، إذ من عوامل نجاح الداعية والمصلح أن يكون عالماً بحال المدعوين مدركاً للمشكلات التي يواجهونها.

ثم مما يحسن التنبيه عليه أنه هناك نوع من العزلة الجزئية بقصد التعبد ومحاسبة النفس والتزود من العلم، ولذا كان من فضل الله تعالى على نبيه ﷺ أن وفقه قبل نزول الوحي لهذا النوع من العزلة وحبب إليه

الخلاء، فكان يخلو في غار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غر حراء[١] ثم بقي لأمته من بعده سنة الاعتكاف لهذا الغرض. وليس الأمر مقصوراً على ذلك بل كان السلف يحثون المسلم على اختلاس سويعات من الوقت للمحاسبة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خذوا بحظكم من العزلة» وقال مسروق «إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر فيها ذنوبه فيستغفر منها.

ثم إن هناك أيضاً عزلة قلبية فالمسلم وإن خالط الناس وعاشرهم ببدنه فإنه مزايل لهم بعمله وقلبه مفارق ماهم عليه من التعلق بالدعة أو الولع بالدنيا

---

(١) رواه البخاري كتاب ١/ ٣، ومسلم ١/ ٦٠.

أو اتباع الهوى. فهو يخالط الناس لغاية واضحة هي العمل على انتشالهم من الضلال إلى الهدى ومن البدعة إلى السنة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، لكن مع ذلك يجب على الداعي وهو يخالط الناس أن يكره بقلبه ماهم عليه من باطل وأن يبغض منهم ذلك وهو بذلك يجمع بين الخلطة والعزلة، الخلطة بجسده ومدخله ومخرجه والعزلة بقلبه وعمله ومشاعره ولذلك يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم ودينكم لا تكلمونه» ومع القول بالخلطة إلا أن القضية تدور مع المصلحة العامة، مصلحة الأمة ومصلحة الفرد. وقد فصّل الغزالي رحمه الله في الأمور التي يرجع فيها إلى تحديد المصلحة فليراجع ذلك من أراد الاستزادة[1].

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٤٢.

فتبين من خلال ذلك أن الخلطة هي الأصل وأن العزلة لا تشرع إلا في أحوال أعرضت عن ذكرها خشية الإطالة فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى ما ذكر من المراجع حول هذا الموضوع.. والله أعلم.

٥ ـ **الحياء المذموم**: فكثير من الناس يخلط بين الحياء المحمود الذي لا يأتي إلا بخير، وبين الحياء المذموم الذي لا يأتي إلا بشر. فحينما يرى منكراً من المنكرات فيعرض عن الإنكار بحجة الحياء فيرى أن ذمته قد برئت بذلك بل ربما حمد نفسه على ذلك فليعلم أن ذلك انهزامية في نفسه ليس إلا.

وعلاج ذلك: أن يعلم المسلم والمسلمة أن هذا من الخور والعجز وأن هذا الحياء الذي يتذرع به ما هو إلا إيحاء من الشيطان حسنه له، فألبسه لبوس الشرع.

ثم ليتأمل المسلم والمسلمة حال النبي ﷺ وكيف كان حاله بالصدع بالحق وبالقيام بواجب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، قام بذلك قياماً يعجز اللسان عن وصفه وهو الذي كان من حيائه ﷺ أنه أشد حياءً من العذراء في خدرها. كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها**»(١). قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله. ولهذا قال للذي اعترف بالزنا: «**أنكتها لا تكني**»(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى عند قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»(٣) قال وقال القاضي عياض: (وأما كون الحياء خيراً كله، ولا يأتي إلا بخير فقد يشكل على

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٣٣٦٩ ومسلم ٤/ ٢٣٢٠.
(٢) الفتح ٦/ ٦٦٧.
(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ١/ ٣٥.

بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة، وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياء الحقيقي. وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو هذا. ويدل لذلك ما روي عن أبي القاسم الجنيد في الحياء المحمود فقال: الحياء رؤية الآلاء أي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء[1]. ولعل في كلام الأئمة ما يشفي الغليل في

(١) شرح مسلم للنووي ٢/ ٥و٦ بتصرف.

إيضاح هذا الأمر ويغني عن التعليق.

٦ ـ **التردد على أماكن اللهو والعبث بدون قصد الإنكار** عند رؤية المنكر، وهذا بلا شك يورث عند الإنسان قلة الإحساس لأنه إذا كثر الإمساس قل الإحساس. ثم تدب في النفس إلف المعصية ثم ما يلبث إلا أن يزول قبحها من القلب. بعد أن كان يستخدم أدنى درجات الإنكار حينها تدب الانهزامية في تلك النفس من حيث يشعر صاحبها أو لا يشعر.

إن الواقع يشهد على ذلك فالذاهب إلى أماكن الترفيه في بعض المناطق يرى بأم عينيه ذلك التقارب بين العوائل في أماكن الجلوس فيرى أن نفسه تنفر من ذلك وقد يتردد في الجلوس في ذلك المكان، ثم لا يلبث إلا أن يرى أناساً يتوسم فيهم الخير وقد أخذوا أماكنهم في وسط أولئك القوم فيعجب لذلك، ولكن يزول العجب لو علم أن أولئك قد مروا بنفس النفسية

التي يعيشها هو في هذه اللحظة ومرة بعد أخرى زال أثر الإنكار من قلبه فأصبح لا يحمل أدنى درجات الإيمان.

وعلاج ذلك: أن يفارق المسلم والمسلمة تلك الأماكن ولا أقصد المفارقة المطلقة وإنما ينبغي عليه أن يرتاد تلك الأماكن للنصح والتوجيه، فيكون معهم بجسمه لكنه يفارقهم في قلبه ويبغض ماهم عليه من معصية.

وأما بالنسبة للمرأة فقد يكون الأمر خارجاً عن إرادتها وقد تجبر على ارتياد الأماكن تبعاً لأهلها فالواجب عليها في مثل هذه الحال أن تذهب بنفسية الداعية فتنبه بنات جنسها في تلك الأماكن على الحياء والحشمة وترك المنكرات، وأن تستحث محارمها على الإنكار على الرجال. بهذا يعيش الإيمان في القلوب وحينها لا تنطفىء نار الغيرة على محارم الله أن تنتهك.

٧ ـ الانغماس في ملذات الدنيا وشهواتها، مما قد يتطلب ذلك مجالسة أهل الفسق والعصيان فيرى عدم الإنكار عليهم حتى لا يتعطل في أمور تجارته كما يزعم. وربما تطلب الأمر سفراً إلى بلاد الإنحلال والإباحية لغرض التجارة ثم ما يلبث إلا أن يرى أصنافاً من الملاهي والمنكرات فتطفىء نار الغيرة في قلبه فيصاب بالانهزامية لإلفه تلك المعاصي نظراً لتكررها على سمعه وبصره، ولقد سمعت أحدهم يقول: لقد خسرت نتيجة دراستي في الخارج أمراً لو دفعت أموال الدنيا ما استطعت إرجاعه وياليتني أستطيع ذلك فقلت له ما هو؟ قال: لقد زالت الغيرة من قلوبنا لما رأيناه من تفسخ وعري في نساء أولئك، فلما رجعت إلى بلدي لم يقتصر الأمر على عدم الإنكار على من عبثت بحجابها بل ربما دعوت لها لأنني كنت أقارن بين تلك الحالتين مع معرفتي بعدم جواز المقارنة بين الكافرة

والمسلمة في مثل هذا لكن كثرة الإمساس تقل الإحساس وهذه صورة من صور المعاصي ويقاس عليها غيرها.

وعلاج ذلك: إنما يكون بأمور منها:

أ ـ أن يمعن الداعية في النصوص التي جاء فيها ذم الدنيا والاغترار بها والإقبال عليها كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1] وكقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ . . .﴾ إلى قوله ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[2] وقوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ . . .﴾[3] وقول

(١) سورة الكهف، آية: ٤٦.
(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

النبي ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى فاجراً منها شربة ماء»[١] وكما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ النبي ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»[٢] فعلى الداعية أن يتبين من خلال هذه النصوص كم هي الدنيا حقيرة وأنها لعب وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال، ثم ليتأمل نصوص السنة، ليتأمل في كلمات المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ليعرف جيداً سبيل أولئك الذين تنكبوا عن الحق،

---

(١) رواه الترمذي ٧/ ٢٣٢١ وقال هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه، وابن ماجه ٢/ ٤١١٠ بمعناه من حديث سهل بن سعد.

(٢) رواه البخاري ٥/ ٦٠٥٣.

واتبعوا سبيل الهوى واستشرفوا زهرة الحياة الدنيا وتطلعوا إلى المال والجاه وحب الظهور، فإذا تذكر ذلك وأمعن فإن الله يجعل له من نفسه حصانة إيمانية تحجزه عن اتباع سبيل الهوى والشهوات، وترده عن الاسترسال في متاهات الغي الدنيوي والفتنة المادية، وأن يجعل الدنيا دار ممر إلى دار مستقر، وهذا العبور إلى دار الآخرة لا ينجي صاحبه إلا أن يتزود بالتقوى والعمل الصالح والجهاد في سبيل الإسلام والإخلاص لدين الله، وما أكرم الداعية عند الله حين يحقق ذلك قولاً وعملاً ومجاهدة وسلوكاً بقول القائل:

إن لله عبـــــــــاداً فطنـــــــــا
طلقـــوا الـــدنيـــا وخـــانـــوا الفتنـــا
نظـــروا فيهـــا فلمـــا علمـــوا
أنهـــا ليســـت لحـــيٍّ وطنـــا

جعلـــوهـــا لُجَّـــةً واتخـــذوا
صـــالـــح الأعمـــال فيهـــا سفنـــا

ب ـ على الداعية أن يعلم أنه إذا اشتد حرصه على جمع المال وطلب الجاه واستشراف المنزلة الاجتماعية والتعظيم في قلوب الناس، فإنه سيتعرض لا محالة لآفات كثيرة كالكبر والمراءاة والمنافقة وحب الظهور والعجب والغرور والتزين والتصنع وترك التواضع للحق وأهله إلى غير ذلك من الآفات. ما أكرم أن يعيش الداعية ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما أكرم أن يعيش الحياة مسكيناً متواضعاً قانعاً بالكفاف بعيداً عن المظاهر الفارغة حذراً من أن ينزلق في آفة من آفات النفوس فتحط عمله وتقتل أجره وثوابه.

جـ ـ على الداعية أن يتعرف على ما أكرم الله به الأتقياء الضعفاء الأخفياء الأصفياء في مقعد صدق عن مليك مقتدر وما ادخر لهم يوم العرض عليه من منزلة

وكرامة وما أعطاهم في دار المقامة من منازل في الجنان عالية فقد روى الشيخان عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف** (أي متذلل غير مأبوه به) **لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جواظ** (أي غليظ ضخم محتال) **مستكبر**»[1].

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء (أي الضعفاء) لا يجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل، ورجلان لست اسميهما (يعني أبا بكر وعمر) فوقع في نفس رسول الله ﷺ ماشاء أن يقع فحدث نفسه (أي حدث نفسه بطردهم حرصاً على هداية الكبراء) فأنزل الله

---

(١) رواه البخاري ٤/ ٤٦٣٤، ومسلم ٤/ ٢٨٥٣.

تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ فكان ﷺ بعد نزول الآية إذا التقى بهولاء الضعفاء يقول: «مرحباً بالذين عاتبني الله فيهم»[1] فتبين من هذا أن المعتبر في الإنسان وخاصة الداعية إلى الله هو التقوى بتقواه يستجاب لنصحه وينظر الله إليه ويرحمه ويبر بقسمه. وما أحوج الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إلى معونة الله ونصرته. ولا يفهم من ذلك الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أنه يؤمر باعتزال المجتمع والتخلي عن الكسب وتحريم الطيبات على نفسه؛ لا. وإنما يقال له اعمل بمبدأ ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] وبمبدأ «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» وبمبدأ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ

(١) رواه مسلم ٤/٢٤١٣.
(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[1] فما أجمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حين يسدد ويقارب ويوازن وما أعظمه حينما يجعل الدنيا مطية للآخرة وما أكرمه حين يعطي في الحياة كل ذي حق حقه ألا فليفهم الدعاة هذه الحقائق الثابتة التي تطهرهم من حب الدنيا والجاه وحتى يقوموا على تهذيب النفس الأمارة بالسوء إن أرادوا أن يكونوا دعاة حق ورجال إصلاح وقادة أمة على درب العزة والنصر والله تعالى معهم ولن يترهم أعمالهم فهو الذي يتولى العاملين المخلصين[2].

٨ ـ التحجج بمعرفة الناس للحق واليأس من صلاحهم ورجوعهم إلى الحق، وكم كنا نسمع تلك

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٢) العلاج: من كتاب عقبات في طريق الدعاة، عبدالله ناصح علوان من ص١٣٩ ـ ١٥١ بتصرف.

العبارة (فلان لا يجهل هذا)، (فلان لا أظنه يرجع للحق حتى ولو ولج الجمل في سم الخياط) وغيرها من تلك العبارات التي يشعر معها قائلها أنه برئت ذمته بذلك فيتعلق بتلك العبارات وغيرها ممن هي على شاكلتها حتى يصاب بالانهزامية.

وعلاج ذلك: أما التحجج بمعرفة الناس للحق فيقال لقائل ذلك: أو لست تقرأ في سيرة النبي ﷺ وكيف كان يعاود الكرة تلو الأخرى لدعوة قومه لقد جلس في مكة ـ بأبي هو وأمي ـ ثلاث عشرة سنة وهو يقول للناس: **«أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»** ما فترت عزيمته وما تذرع عليه السلام بسماعهم لهذا الكلام كثيراً، إن القول بإسقاط الوجوب وبالاحتساب في المرة الأولى من لازمه إبقاء المنكرات وسببُ في انتشارها. لأن أصحابها قد لايكفون لأول مرة فيحتاج الأمر إلى المعاودة مرة أخرى وعليه فقد بطلت هذه الحجة.

أما التذرع باليأس من صلاح الناس وهدايتهم فيقال: . . وأما هداية الناس فهذا ليس الأمر فيه للمحتسب وإنما هو مأمور بالبلاغ كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٢]. وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[٣]، وقد بقي نوح عليه السلام تلك المدة الطويلة يدعو قومه ليلًا ونهاراً سراً وجهراً ومع ذلك لم يفتر ولم يقعد عن دعوته والأنبياء كلهم قاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما آمن بعضهم إلا قليل، بل إن بعض الأنبياء يأتي يوم القيامة وليس معه أحد كما ثبت ذلك عن

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٢.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١٠٧.
(٣) سورة القصص، آية: ٥٦.

النبي ﷺ[١]. ولقد قص الله تعالى في القرآن العظيم خبر القرية التي كانت تعدو في السبت فبين أن أهلها انقسموا إلى ثلاثة أقسام: أ ـ قسم كان يأمر وينهى. ب ـ قسم مقارف للمعصية واقع فيها. جـ ـ قسم سكت لم يأمر ولم يَنْهَ. قال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[٢]. قال ابن العربي رحمه الله تعالى: «فاستمروا على نهيهم لهم ولم يمنع من التمادي على الوعظ والنهي عدم قبولهم لأنه فرض قُبل

---

(١) من حديث ابن عباس، رواه البخاري ٥/٥٣٧٨، ومسلم ١/٢٢٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٦٣ـ١٦٥.

أم لم يقبل».

وقال القاسمي: «دل قوله تعالى ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ على أن النهي عن المنكر لا يسقط ولو علم المُنكر عدم الفائدة فيه، إذ ليس من شرطه حصوله الامتثال عنه، ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان الدين والغيرة على حدود الله والاعتذار إليه تعالى إذا شدد في تركه لكفاه فائدة».

وقال النووي رحمه الله تعالى: «قال العلماء ـ رضي الله عنهم ـ: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[1].

---

(١) من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه؛ لخالد السبت ٣٤٨ـ٣٤٩ بتصرف يسير.

أخي المسلم أختي المسلمة لعل في كلام الأئمة ما يكفي لزيف هذه الحجة وبطلانها.

٩ ـ عدم تصور فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومما لا شك فيه أن الشيء إنما يشرف ويعظم قدره عند الإنسان إذا تصور أهمية ذلك الشيء، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بهذا الأمر العظيم ألا وهو جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ووجود هذا السبب راجع في المقام الأول للجهل حيال فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يترتب عليه من المصالح الدنيوية والأخروية.

وعلاج ذلك: أن يتصور المسلم والمسلمة فضل القيام بمثل هذه الشعيرة، ولعلي أذكر شيئًا من فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سبيل الاختصار لا على سبيل البحث والتقصي علها تكون باعثاً للقيام بهذا الركن العظيم لمن كان الحاجز بينه

وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدم إدراك مثل ذلك، فمن فضائل ذلك:

أ ـ أن الله تعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات صفوة الخلق صلوات الله وسلامه عليهم حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾[1]. ويظهر سر ذلك إذا عُلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مدار رسالة الرسل الذين بعثوا من أجلها فهم يدعون إلى كل خير وينهون عن كل شر فهو زبدة الرسالة ومدار البعثة. قلت: ومن منا لا يحب أن يقتفي أثر رسل الله.

ب ـ أن الله تعالى جعل هذا الوصف من أخص أوصاف

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

من اصطفاهم من سائر البشر ليكونوا أتباعاً لرسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقال:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]

وفي هذه الآية تقديم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله تعالى مع أن الإيمان لا يتقدمه شيء من سائر الأعمال ولكن قد يكون هذا التقديم في هذا الموضع يراد به إبراز خاصية انفرد بها هؤلاء عن غيرهم فمَيزتهم.

وقال تعالى مبرزاً أشرف أوصاف المؤمنين

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

جـ ـ أن خيرية هذه الأمة التي هي خير الأمم منوط بالقيام بهذا الأمر قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2] وذلك لأن صلاح الناس إنما يكون بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة رأى من الناس دعة[3] فقرأ هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ . . .﴾ الآية، ثم قال «من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها».

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) أي سوء أدب.

د ـ أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يحصل له من الثواب والأجر الشيء الكثير، لأنه لا يدعو أحداً إلى خير فيعمل به ذلك المدعو إلا وكان لهذا الداعي مثل الأجر الذي يحصل لذلك الذي انتفع بدعوته ودلالته على الخير وهكذا إلى يوم القيامة ألا ما أعظمه من فضل.

ولقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة منها: حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**أيما داعٍ إلى ضلالة فاتبع فإن له مثل أوزار من تبعه، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً وأيما داعٍ دعا إلى هدى فاتبع فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاً**»(١). بل إن منزلة الداعي أعظم من ذلك فهو ينال بدعوته مثل أجور الأوائل من هذه الأمة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) رواه أحمد ٢/٣٩٧. وقد جاء نحوه عن أبي هريرة عند مسلم ٤/ ٢٦٧٤.

«إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر»[١][٢].

إن فضيلة واحدة من هذه الفضائل التي ذكرتها والتي هي بعض فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كفيلة بأن تجعل عنق المسلم والمسلمة يشرئب لينال هذه الرتبة العظيمة. فأينا لا يريد أن يقتدي ويحتذي بالرسل والأنبياء؟ وأينا لا يريد أن يكون من خير هذه الأمة الخيرة؟ وأينا لا يريد أن يكون مناراً للعلم والهدى ويكون له مثل أجر من دعاه وعمل بما دعاه حتى وهو في أطباق الثرى؟

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ٦٢. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٧٠٠) وصحيح الجامع ٢٢٢٠.

(٢) هذه الفضائل نقلتها بتصرف من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لخالد السبت من ص٤٦-٥٢ بتصرف.

١٠ ـ الخوف من الرياء والقعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتجاجاً بذلك. فلطالما قعد كثير من الناس عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً على النفس من الرياء والسمعة.

نعم إنه يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون عمله خالصاً لوجه الله، وأن لايريد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا مدحهم وحمدهم وإنما يقصد بذلك وجه الله تعالى، ومع ذلك أقول للذي تخلى عن هذا الركن العظيم بهذه الحجة التي هي لا شك من وساوس الشيطان أقول له: هل يظن من فعل هذا أنه سلم وبرئت ذمته؟ لا. بل لقد وقع فيما فر منه كما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما» ليس الحل أن يقعد المرء عن مجالات الخير تذرعاً

بهذه الحجة الشيطانية حتى يصاب بالانهزامية حتى في نفسه، إنما مَثَلُ ذلك كشخص على عتبة بابه عدو يتربص به فقعد عن فعل الأسباب حتى إذا نفد الزاد خرج ليلقاه عدوه فينكأ به فيقتله. لذا كان من العقل والحكمة بذل السبب، وضد ذلك كان من السفه القعود عن فعل السبب ليقع فيما فر منه بل في شر مما فر منه.

وعلاج ذلك: أن يعلم المسلم والمسلمة أن العلاج الحقيقي الذي يقطع دابر هذا الشيء ويستأصل شأفته إنما يكون بالتشمير عن ساعد الجد لإزالة الرياء وقطع عروقه وأصوله ليحل محله الإخلاص بعد ذلك بإذن الله.

ومن الأمور التي تعين المرء على علاج الرياء علاجاً حقيقياً ما يلي:

أ ـ معرفة أنواع الرياء ودوافعه وأسبابه ثم قطعها

وقلع عروقها[١].

ب ـ معرفة عظمة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفةً صحيحة مبنية على فهم الكتاب والسنة وعلى مذهب أهل السنة والجماعة، فإن العبد إذا عرف أن الله وحده هو الذي ينفع ويضر ويعز ويذل ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع ويحيي ويميت ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إذا عرف ذلك ونحوه عرف أن الله تعالى هو المستحق للعبادة فيورث ذلك إخلاصاً وصدقاً مع الله تعالى.

جـ ـ معرفة ما أعده الله تعالى في الدار الآخرة من نعيمٍ وعذاب، فإن العبد إذا عرف ذلك وكان عاقلًا هرب من الرياء إلى الإخلاص.

---

(١) ينظر: مقومات الداعية الناجح؛ للشيخ سعيد القحطاني. وهو كتاب قيم جدًّا.

د ـ الخوف من الرياء المحبط للعمل فإن من خاف أمراً بقي حذراً منه فينجو، فإن من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزلة. فيجب على المرء إذا هاجت رغبته إلى آفة حب الحمد والمدح أن يذكر نفسه بآفات الرياء والتعرض لمقت الله. ومن عرف فقر الناس وضعفهم استراح. كما قال بعض السلف: «جاهد نفسك في رفع أسباب الرياء عنك واحرص أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها أو غفلتهم عنها واقنع بعلم الله وحده».

هـ ـ معرفة ما يفر منه الشيطان لأن الشيطان منبع الرياء وأصل البلاء والشيطان يفر من أمور كثيرة منها الأذان، وقراءة القرآن، وسجود التلاوة، والاستعاذة بالله منه، والتسمية عند دخول البيت والخروج منه وجميع الأدعية المشروعة.

و ـ الإكثار من أعمال الخير والعبادات الغير مشاهدة وإخفاؤها: كقيام الليل، وصدقة السر، وصلاة النوافل، والدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب ونحو ذلك.

ز ـ عدم الاكتراث بذم الناس ومدحهم لأن ذلك لا يضر ولا ينفع بل يجب أن يكون الخوف من ذم الله والفرح بفضل الله قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1].

س ـ تذكر الموت وقصر الأمل.

ش ـ الخوف من سوء الخاتمة فعلى العبد أن يخاف أن تكون أعمال الرياء خاتمة أعماله ونهاية أجله فيخسر خسارة عظيمة.

ص ـ مصاحبة أهل الخير والإخلاص والتقوى.

---

(١) سورة يونس، آية: ٥٨.

ض ـ الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى[١].

أخي المسلم أختي المسلمة بهذه الأمور وغيرها يتم معالجة الرياء والسمعة، وليس يتم ذلك بالقعود عن الخير كما يظن كثير من الناس.

١١ ـ المصائب التي تصيب الإنسان كالمرض والحاجة وغير ذلك، وكذا مشاغل الحياة، نعم فلطالما أقعد مثل هذا السبب كثيراً من المسلمين عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل إن بعض الناس لا يقتصر الأمر عنده على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حال تتابع المصائب عليه. بل ربما أدى ذلك به إلى الانتكاس. فلقد وقفت على قصة مفادها أن طالب علم وداعية بلغ في هذين الأمرين

(١) الأمور التي تعين المرء على العلاج من كتاب مقومات الداعية الناجح؛ للشيخ سعيد القحطاني، من ص٣٠٤ـ٣١٠ بتصرف.

مبلغه فتتابعت عليه المصائب من تسلط والده وقلة مال فترك مجال الطلب والدعوة بل كما يقول هو لقد فكرت كثيراً في الانتحار فنسأل الله السلامة والعافية. إن هذا السبب من أعظم أسباب الانهزامية ونظرة في الواقع. فكم هم الذي يبدؤون مشوار الدعوة في شبابهم ثم لا يلبث الصف إلا أن يتناقص شيئاً فشيئاً حتى يصبح الكثير منهم صرعى على جنبات الطريق نسأل عن ذاك الداعية وإذا هو قد توسع في تجارته، وإذا هو تزوج وقد انشغل بزوجته وهي انشغلت بالزوج والأولاد، وغير ذلك مما لا يخفى على ذي لب وناظر في حال المجتمع.

وعلاج ذلك: أنه يجب على المسلم والمسلمة أن يعلم أن الشدائد والمشاغل مهما عظمت وكثرت فإنها لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين. أقول الشدائد وليست هي مجرد ملهيات الحياة وكمالياتها التي

أقعدت كثيراً من الدعاة والداعيات في هذا الزمن عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد علمنا الرسول ﷺ أن الشدائد والمشاغل، لا يمكن أن تكون حاجزاً عن القيام بمثل هذا الأمر فنراه بأبي هو وأمي عليه أفضل الصلاة والتسليم لم تصرفه مشاغل الحياة عن هذا الأمر وهو الذي تزوج تسع نسوة عليه الصلاة والسلام فقام بحقهن خير قيام وقام بالرسالة خير قيام، بل وحتى الشدائد لم تصرفه عن ذلك. فنراه صلوات ربي وسلامه عليه يحذر أمته عن ارتكاب الشرك وقد اشتد عليه مرضه الأخير فقد روى الإمام البخاري عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق[1] يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم بها[2] كشفها عن وجهه

(١) أي جعل.
(٢) تسخن واحتمى.

فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا أنبيائهم مساجد»[١] يحذر ما صنعوا.

بل نراه بأبي هو وأمي في أشد من هذا الموقف لم يترك جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنها ساعة الارتحال من الدنيا لقد كانت تلك الوصية الخالدة منه تعلمنا أن مصائب الدنيا ومحنها لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصرف المسلم عن هذا الجانب المهم. لقد كان يجود بنفسه حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه حينها يطلق صيحته بقوله: **«الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»**[٢].

نعم كان هذا الدرس الذي وعاه جيداً صحابته من بعد فهاهو أبو بكر الصديق الذي تربى في مدرسة النبوة

---

(١) رواه البخاري (١/ ٤٢٥).

(٢) رواه ابن ماجه رقم ٢٧٣٠ وحسن إسناده الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة، وقال عنه الألباني: صحيح.

تعلم من تلك المدرسة أن الشدائد مهما عظمت وكبرت لا يمكن أن تكون حائلًا عن القيام بأمر الدين، إن وفاة الرسول ﷺ فداه أبي وأمي لهي من أعظم المصائب والمحن على صاحبه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان أحب الناس إليه من الرجال، وهو الذي لم يتمالك نفسه لما أحس من تلميح النبي ﷺ بارتحاله من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى، وهو الذي كان إذا عزّى رجلًا قال له «**اذكروا فقد النبي ﷺ تصغر مصيبتكم وأعظم الله أجركم**».

فهل شغلته المصيبة العظمى عن أمر الدين، أم هل قللت من عنايته به؟ كلا بل نجده أمر منادياً ينادي من الغد من وفاة الرسول ﷺ جميع أفراد جيش أسامة رضي الله عنه إلى معسكرهم بالجرف ليتم توجيههم إلى الجهة التي وجههم رسول الله ﷺ إليها للجهاد في سبيل الله تعالى. ولم تكن تلك المصيبة فحسب بل

ظهر الارتداد والنفاق واشرأبت اليهود والنصارى وخشي المسلمون إغارة القبائل المرتدة على المدينة المنورة، لكن ذلك كله لم يكن مانعاً لأبي بكر من الانشغال عن أمر هذا الدين[١] فهل ننهل من المدرسة النبوية كما نهل منها أولئك الكرام؟ هل نفعل ذلك لنجعل تلك المصائب والهموم زاداً للسير في مجال الدعوة إلى الله تعالى. هذا هو المؤمل والمرتجى.

١٢ ـ ترك الاحتساب على فئة معينة من الناس لمنزلة دينية أو دنيوية أو قرابة أو صداقة بينما هو في المقابل ينكر على من سواهم. وتعظم البلية والمصيبة إذا كان يتكرر رؤيته لمثل هؤلاء الأشخاص إما لملازمته داعية جمع بينهما هم الدعوة فيرى عليه

---

(١) العلاج من كتاب قصة بعث أبي بكر جيش أسامة رضي الله عنهما دراسة دعوية؛ للدكتور فضل إلهي من ص ٢١ـ٢٣ بتصرف.

مخالفات شرعية فيترك الإنكار عليه لمكانته أو لملازمته لأصحاب المناصب الدنيوية فيرى منهم مالايرضى الله تعالى فيترك الاحتساب عليهم. وهكذا شيئاً فشيئاً حتى يعتاد على رؤية مثل هذه المنكرات حينها يتبلد الإحساس فيصاب بالانهزامية فيترك الاحتساب على هؤلاء وغيرهم من عامة الناس.

وعلاج ذلك: أن يعلم المسلم والمسلمة أنه لايستثنى من الاحتساب أحد إذا صدر منه ما يقتضي الإنكار عليه سواء أكان ذا منزلة رفيعة أم كان من عامة الناس وسواء كان قريباً أو بعيداً. فلقد صدر من عمر رضي الله عنه ما اقتضى الاحتساب عليه حيث نقل رسالة إلى الصديق متضمنة طلب عزل أسامة رضي الله عنه عن الإمارة وتقديم شخص آخر أقدم سناً منه أميراً للجيش. ولقد كان للفاروق من المنزلة ما لا يخفى على أحد ولا على الصديق رضي الله عنه فهو يعلم قول

النبي ﷺ في عمر «**أيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**»[١] ومع تلك المنزلة الرفيعة لعمر لم يمنع ذلك أبو بكر من الاحتساب عليه والإنكار عليه، وفعل ذلك معه أيضاً لما طلب عمر من أبي بكر أن يتلطف بمانعي الزكاة ويرفق بهم. وهكذا كان شأن الصحابة بعضهم مع بعض. وقد عنون الإمام ابن حبان في صحيحه حديثاً بقوله (ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه في الدين والدنيا إذا كان قصده فيه النصيحة دون التغيير).

كذلك لا تمنع قرابة قريب من الإنكار عليه إذا وجد لديه ما يستدعي ذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص ٣/ ٣٤٨٠.

﴿ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾[١] قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: «ثمرة الآية الدلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالقسط يدخل فيه الشهادة بالصدق وكذلك الفتوى وأن قول الحق لا يترك وجوبه بعدو ولا صديق ولا يجوز اتباع الهوى»[٢].

فلم يكن في الحقيقة في قرن أولئك ما يُشاهد لدى كثير منا من تحمس شديد واهتمام بالغٍ وعناية فائقة بالاحتساب إذا كان تارك المعروف أو فاعل المنكر من عامة الناس أو من الأجانب والأباعد، والبرودة المتناهية إذا كان من أصحاب المناصب أو الأقارب

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) العلاج من كتاب قصة بعث أبي بكر جيش أسامة رضي الله عنهما دراسة دعوية؛ للدكتور فضل إلهي من ص٥٦ـ٥٩ بتصرف.

والأصدقاء حيث يصدق عليهم قول الشاعر:

وعيـن الـرضـا عـن كـل عيـب كليلـة
وعيــن السخــط تبــدي المســاويــا

أوردت هذا السبب حتى يحذر المسلم والمسلمة من داء الانهزامية الذي ربما دب إليه من هذا الطريق فقضى عليه.

تنبيه: بالنسبة للاحتساب على الأكابر وأصحاب المنزلة له آداب لابد من مراعاتها عند الاحتساب عليهم كما بيّن ذلك علماء الحسبة أعرضت عن ذكرها لأن هذا ليس مجالاً لذكره.

١٣ ـ **استعجال الثمرة.** فطالما أصيب كثير من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالانهزامية تعلقاً بتلك الحجة الواهية التي مفادها «إني لا أرى أثراً لدعوتي» فيرى أن الحل الأمثل هو ترك هذا المجال وهذا خطأ بيّنٌ بطلانه، وهذه العجلة لها صور في حياة

الناس منها:

أ ـ استعجال نزول العذاب بالمخالفين وهذه أمارة وعلامة اليأس الذي لا يليق بالدعاة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾[١].

ب ـ ترك الدعاء قال ﷺ «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل. قيل للرسول ﷺ: فماالاستعجال؟ قال: يقول دعوت فلم أر يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[٢].

جـ ـ استعجال النصر دون التمكن من أسبابه. وغير ذلك من الصور.

وعلاج ذلك: أن يعلم الداعية أن العجلة مذمومة

---

(١) سورة مريم، آية: ٨٤.

(٢) رواه مسلم ٤/٢٠٩.

قال تعالى عن فرعون ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ . . . ﴾ الآية[١]. قال عمرو بن العاص: لا يزال الرجل يجني من ثمرة العجلة الندامة. على أنه ينبغي أن يُعلم أن العجلة المذمومة ماكان في غيرطاعة.

ولعل من المناسب ذكر بعض الأمور التي يمكن عن طريقها التخلص من هذه الصفة الممقوتة حتى لا يقعد الإنسان عن جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها:

أ ـ العلم بأن وعد الله آت لا ريب فيه فإن كان الاستعجال بنزول العذاب على المخالفين، فليعلم المستعجل إنما هي آجال محدودة قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٢] وإن كان استعجال النصر قبل التمكن من أسبابه

(١) سورة الزخرف: ٥٤.
(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

فليعلم المستعجل أن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

ب ـ النظر إلى سنن الله في الغابرين الذين استعجلوا العذاب فأصبح لا يرى إلا مساكنهم عبرة للمعتبرين قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾[١].

جـ ـ عدم وقوع الأمر على وفق استعجال المستعجل قد يكون رحمة من الله تعالى. قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ... ﴾[٢].

د ـ ويتخلص من العجلة بالتدرب والتصبر والمجاهدة وعدم العجلة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا... ﴾[٣].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٦.
(٢) سورة يونس، آية: ١١.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

هـ ـ تقوى الله تعالى ودعاؤه. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ . . .﴾[١]، وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا . . .﴾[٢]، وقال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ . . .﴾[٣][٤]

١٤ ـ ضغط الأهل وإلحاحهم على الولد لترك مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حينها يتذرع ذلك الشخص إن طاعة الوالدين واجبة وقيامه بهذا الأمر مستحب والواجب مقدم على السنة فيتذرع بذلك فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تذرعاً بهذه الحجة. لقد قعد أولئك في جحور المتخلفين

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٢.
(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٩.
(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.
(٤) من صور العجلة إلى آخر علاج، ذلك من كتاب: مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة؛ للشيخ سعيد القحطاني، من ص١٥٨ـ١٦٢ بتصرف.

المنهزمين. يقول الشيخ عبدالله علون: ولا شك أن دافع الأهل والأبوين وذوي القرابة.. في إقناع الداعية بترك العمل الإسلامي، وعدم التدخل في قضايا الدعوة إلى الله أن الدافع هو الخوف على أولئك من الابتلاء على أي وجه كان.

وقال أيضاً: نقلًا عن الأستاذ يكن في كتاب «المتساقطون على طريق الدعوة»: عرفت أنماطاً غريبة من الآباء كانوا يغرون أبنائهم ممن التحقوا بدعوة الإسلام وساروا على طريق الحق ليحولوا بينهم وبين دعوتهم وإسلامهم، ويشجعونهم على الرذيلة وارتياد أماكن اللهو ليصدوهم عن سبيل الله. وعرفت آخرين كانوا يضربون أبنائهم ويضيقون عليهم في المال والرزق ليردوهم عن العمل في سبيل الإسلام»[1].

---

(١) من كتاب عقبات في طريق الدعاة؛ عبدالله ناصح علوان ٢٦٨.

قلت: صدق ورب الكعبة فكم من ولي أمر ضيق على أولاده من بنين وبنات لصلاحهم دفعاً لهم عن مجال الخير والعمل له. فكم سمعنا من شخص دفع لفلذة كبده قيمة التذكرة والإقامة في الإجازة ليذهب لبلاد العهر والرذيلة! وكم سمعنا من قيم يرغم بناته على التبرج والسفور كل ذلك لصدهم عن طريق الخير والحق!

يقول عبدالله علوان في كتابه: «وهذه الضغوط إذا لاقت من يستجيب لها، ويتأثر بها من ضعفاء الإيمان... فإنهم سرعان ما يتساقطون على درب الدعوة، وسرعان ما يقبعون في زوايا الخائفين الخانعين القاعدين... فلا يعملون لإسلام ولا يتطلعون إلى مثل أعلى، ولا يؤدون رسالة الدعوة في التبليغ والاصلاح والتغيير بل يعيشون هملًا ويعدون من سقط المتاع... لا غاية نبيلة ينتظرونها ولا عزة

سامقة يسعون إليها، ولا دولة إسلام يجاهدون في سبيلها.. وهذا والله ليس من شأن الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولا من طبيعة أهل العزم والعزائم ولا من مواصفات كبراء النفوس وعشاق المعالي ورحم الله من قال:

إذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام[١]

وعلاج ذلك: أن يعلم الداعية أن الحل ليس هو الرضوخ لهذه الضغوط، بل يجب على الداعية أن يعلم أن لهذا السبب علاجاً يجب السعي إليه بدلاً من القعود عن مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعلقاً بهذه الحجة الواهية فمن علاج ذلك:

أ ـ أن يعتقد الداعية أن الإذعان لضغوط الأهل

---

(١) من كتاب عقبات في طريق الدعاة؛ عبد الله ناصح علوان ٢٦٩.

والأقرباء آباء وأبناء وأزواج وعشيرة. . .، هو من البلاء الذي يوقع صاحبه بسخط الله، ويوقع الأمة المسلمة إن رضيت به في الذلة والمهانة والانهزامية أمام الأعداء وشعار القرآن في ذلك: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] فمفهوم النص في الآية أن الثبات أمام ضغط القرابة والصمود أمام إغراءات المال والمسكن والاندفاع الاعتقادي والنفسي على حب الله والرسول والجهاد في سبيل الله هو من مقتضيات الإيمان وأسس الإسلام فبدونها لا يكون المسلم ـ وعلى الأخص الداعية ـ مؤمناً بحق

(١) سورة التوبة؛ آية: ٢٤.

ومسلماً بصدق مهما تبجح بالإيمان وتشدق بالإسلام؟.

ب ـ أن يتأسى الدعاة بأصحاب القدوة قديماً وحديثاً فإنهم كانوا آية في الثبات ونموذجاً حيًّا أمام الضغوط العائلية والمحن الأسرية. ولعل من المناسب ذكر هذا النموذج للثبات أمام الضغوط فقد روى الترمذي أن قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان، لما أسلم كان باراً بأمه، قالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر يا قاتل أمه!! ثم إنها مكثت

(١) سورة العنكبوت، آية: ٨.

يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب.. فجاء سعد إليها وقال لها: « يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت لا تأكلي» فلما يئست منه أكلت وشربت[١]، فنزلت الآية آمرة سعداً بالبر بالوالدين والإحسان إليهما ولو كانا كافرين وعدم طاعتهما في الشرك بالله ومخالفة أمره سبحانه وتعالى فهكذا يكون أقوياء الإيمان.

جـ ـ أن يقوم الداعية بدوره المؤثر في إقناع من حوله من أهل، ووالدين، ونسب يقنعهم أن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الإيمان بالله والاعتماد

---

(١) رواه مسلم ٤/١٧٤٨.

عليه والاعتقاد بقضائه وقدره. وأن يقنعهم أيضاً أن الإسلام بنى حقيقة الإيمان على أن الذي يخفض ويرفع ويعطي ويمنع ويحي ويميت ويعز ويذل ويشفي ويمرض ويوسع ويقتر هو الله وحده لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] وهو القائل ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]. إلى غير ذلك من الآيات حول هذا فيعلّم ذلك أهل بيته وقرابته حتى يعلموا ذلك ويتيقنوه فينطلقوا هم للدعوة بأنفسهم بدل أن يكونوا حجر عثرة في طريق أبنائهم وبناتهم،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

ولننظر إلى حال تلك المرأة المؤمنة لما فقهت مثل ذلك لم تكن مانعاً لزوجها عن سلوك طريق الجهاد في سبيل الله فتلك المرأة لما خرج زوجها للجهاد في سبيل الله جاء من يستثير حزنها ويهيج عاطفتها ويقول لها: «من يقوم على عيالك ويرعى أولادك إذا قدر على زوجك القتل وكتبت له الشهادة فما كان منها إلا أن صرخت في وجوههم وقالت لهم في ثقة واطمئنان: إني أعرف زوجي أكّالاً ولم أعرفه رزاقاً، فإذا مات الآكل بقي الرزاق»[١].

فهل نربي بيوتنا على مثل هذا لتكون تلك البيوت منطقاً للدعوة في سبيل الله لا حجر عثرة في هذا الطريق.

---

(١) العلاج من كتاب عقبات في طريق الدعاة؛ عبدالله علوان ٢٧٠ـ٢٧٨ بتصرف.

١٥ ـ عدم الشعور بالمسؤولية واعتقاد أن هذا الأمر مقصوراً على جهة معينة. فتبدأ مرحلة اللوم حال رؤية المنكر ويظن أن ذمته قد برئت بذلك أو لسنا نسمع دائماً من يذكر المخالفات في الأسواق والطرقات ثم يتبع ذلك بقوله (عجباً أين رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن مثل هذه المنكرات) ثم يتبع ذلك بحوقلة واسترجاع للاستهلاك ليس إلا. إن هذا السبب لهو من أعظم الأسباب التي قعدت بكثير من الناس عن مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا صور كثيرة جدًا أذكر بعضها منها لإيضاح هذا السبب:

صورة أولى: إلقاء اللوم على رجال الهيئة وتحميلهم المسؤولية عن المنكرات التي قد توجد في الأسواق والطرقات.

صورة ثانية: تتجلى في تخلف بعض الناس عن

صلاة الجماعة. كثر ذلك وانتشر يوم أن ظن بعض الناس أن هذه مسؤولية إمام المسجد فقط. لقد قال لي أحد أئمة المساجد في يوم من الأيام إنني أفكر كثيراً في ترك إمامة المسجد. فقلت خيراً إن شاء الله فقال: أبداً الجماعة يكثر فيهم التخلف وأريد براءة ذمتي. فقلت له: ومن قال لك أن ذمتك تبرأ إنها مسؤولية الجميع وإن كانت في حق إمام المسجد أعظم لكن لكل فرد من الجماعة قسط من المسؤولية. نعم فما كان لمثل هذا التفكير أن يتم لولا اقتناع كثير من الناس أن المسؤولية مقصورة على جهات محدودة ومعينة.

وثالثة: المنكرات التي توجد في بيوتنا التي نسكنها فالبعض يعتقد أن إزالتها تقع على قيّم البيت فقط، ولذلك لا يحرك ساكناً لوجود المنكرات في بيته ساكناً لا أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر. إنها صور كثيرة تتنامى يوماً بعد يوم نتيجة هذا الاعتقاد

الخاطىء.

وعلاج ذلك: أن يعلم المسلم والمسلمة أن كل إنسان على ثغر من ثغور هذا الدين فالله الله أن يؤتى من قبله. إننا يجب أن نعلم علم اليقين أن تلك الفئة ليست كالشمس حتى تقوم بإنكار كل ما يحصل على وجه البسيطة، ولأضرب لذلك مثلًا حتى يتبين لنا خطأ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تذرعاً بهذا السبب. أقول هل رجال الهيئة مثلًا مطلوب منهم الدخول في بيوت الناس حتى يقوموا بإنكار المنكرات التي فيها ومن ثم تقويمها وإصلاحها.

أخي الشاب حينما تمر في طريقك في وقت الصلاة بمجموعة شباب تخلفوا عن الصلاة هل تعلم أنك حين تلقي اللوم على رجال الهيئة في تلك اللحظة؛ هل تعلم أنه يزاولون الإنكار في مكان آخر فلماذا تعفي نفسك من المسؤولية. إن علاج مثل هذا

لا يتم إلا أن يستشعر كل واحد منا مسؤوليته.

١٦ ـ وقوع الشخص وإلمامه ببعض المعاصي حتى يشعر نفسه بعد ذلك ليس بترك مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسب، بل ربما رأى عدم جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه وهو على هذه الحالة. فلطالما سمعنا من بعض المسلمين مقولة: «كيف أنكر وأنا على هذه الحالة» أعجب من التذرع بمثل هذه الحجة التي ما أنزل الله بها من سلطان. وأسأل حينها كم سنخسر من هذه الأمة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب التعلق بمثل هذه الحجة الواهية!

وعلاج ذلك: أن يعلم كل من المسلم والمسلمة أن هذا من آثار المعاصي الكثيرة فأي شؤم للمعصية أعظم من القعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب المعصية. ولكن لا يعني أبداً اعتقاد أن

الإنسان لا يأمر وينهى إلا إذا كمل في نفسه قال النووي رحمه الله عند قول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.. الحديث»[١]. قال: قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلًا ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر».

فتخلص من ذلك: أن المعصية شؤم على العبد يجب على المسلم أن يتخلص منها وأن يبادر بالتوبة إلى الله منها. ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال القعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذا السبب المتوهم.

١٧ ـ فهم بعض الناس لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه مسلم ١/٧٨ من حديث طارق بن شهاب.

﴿ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ . . .﴾[١] فهماً خاطئاً. نعم أولسنا نسمع دائماً مقولة: (كل ذنبه على جنبه) فكثير من الناس يتصور أنه ليس مسؤولاً مادام قد ألزم نفسه بلزام الشرع وألجمها بلجام الحق.

وعلاج ذلك: أن يعلم المسلم والمسلمة أنه إذا قصر في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لم يفعل ما كلف به ويعد ذلك تقصيراً في حق نفسه. لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل شخص بعينه وذلك إذا لم يكن بحضرة المنكر غيره وكان يستطيع الإنكار كما قرر ذلك أهل العلم، فكيف بعد ذلك يقصر في هذا ويعتقد أنه قام على نفسه حق القيام.

ثم أيضاً كان من الواجب عليه أن يرد العلم لأهله

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

وأن يعرف معنى الآية معرفة صحيحة لا معرفة مبينة على الجهل واتباع الهوى. قال النووي رحمه الله: «وأما قول الله عز وجل ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . . .﴾ الآية قال: المذهب الصحيح عند المحققين في هذه الآية أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وإذا كان كذلك فمما كُلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه من الأمر بالمعروف والنهي لا القبول والله أعلم[1].

١٨ ـ استطالة الطريق وعدم تصور سنن الله في خلقه وأن العاقبة الحميدة للمتقين أولياء الله تعالى.

---

(١) شرح صحيح مسلم؛ للنووي ٢/ ٢٢.

فيستطيل بعد ذلك الطريق فيصاب بالانهزامية. فكم من إنسان صاحب دعوة تلفت يمنة ويسرة بعد برهة من الزمن من دعوته ليرى بعد ذلك انتفاش الباطل وضعف الحق فأيس من وعد الله لجنده وحزبه ليصاب بعد ذلك بالانهزامية ويتخلى عن الطريق ظناً من أنه أحسن صنعاً وفي الحقيقة هو ممن ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1].

وعلاج ذلك: أن يعلم الداعي والداعية أن الحق أبلج وأن الباطل لجلج، وأن الباطل ساعة وأن الحق إلى قيام الساعة.

إن من الأجدى والأنفع في علاج ذلك أن يتأمل المسلم وعد الله تعالى بالنصر والتمكين لحزبه وجنده

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ـ ١٠٤.

كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[١]. قال السعدي رحمه الله تعالى: (سبقت كلمة الله، التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المرسلين وجنده المفلحين أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم نصراً عزيزاً يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أُمر بقتالهم أنه غالب منصور)[٢].

على الداعي أن يتأمل هذه الآية وأمثالها التي تدل دلالة قطعية على أن نصر الله لجنده واقع لا محالة، ثم لينظر الداعي نظرة فاحصة في سيرة النبي ﷺ ويتأملها ليتجلى له هذا الأمر في رده على خباب بن الأرت حينما جاء خباب قائلًا: (ألا تدعوا لنا ألا تستنصر لنا) وكان مما قاله عليه الصلاة والسلام له: «والله ليتمن الله

(١) سورة الصافات، آية: ١٧٣.
(٢) تفسير السعدي، ٦/ ٤٠٤.

هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[١]. نعم ولكنكم قوم تستعجلون نعم والله إن النصر لا محالة آت لا ريب فيه يوم أن تتوفر أسباب ذلك.

ثم إن من المهم أن يعلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أنه ليس من الشرط أن يتحقق ذلك في وقته ولكن إذا جاءه الأجل وإذا به قد وضع لبنة من لبنات هذا الطريق الطويل.

تأمل معي قصة سمية أليست هي أول شهيدة في الإسلام. لقد استشهدت في بداية الدعوة هي لم تر عزة الإسلام والتمكين له. ولكنها مما لا شك فيه كانت عتبة من تلك العتبات التي ارتقى من خلالها

(١) جزء من حديث رواه البخاري ٦/ ٦٥٤٤.

المسلمون سلم المجد والنصر والتمكين.

١٩ ـ **الحسد**، فكم كنت أقدم رِجلًا وأؤخر أخرى لذكر هذا السبب ولكنني وجدت نفسي مرغماً بعد ذلك لذكره لوقوعه حقيقة لا مجال معها للشك.

إن من الشدائد في حياة الدعاة أن يكون الداعية دائراً بين مؤمن يحسده وبين منافق يبغضه وبين كافر يقتله وبين شيطان يضله وبين نفس تنازعه. وما أردت الحديث عنه هو أن يكون سبب الانهزامية بسبب مؤمن يحسده بل إنني أقول إن مما يؤلم أن يكون الحسد من شخص يسير معه في نفس الطريق طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن هذا الصنف أردت الحديث.

لقد حدثني ذات يوم وقد كان قارئاً حسن الصوت بنبرة فيها حزن وأسى ولوعة حينما ذكرت له ناصحاً بعض ما يقال عنه مستوضحاً ذلك منه فقال: (وهل

تصدق أن من تتلمذت على يده هو الذي يحاربني.. حتى فكرت كثيراً في ترك هذا المجال فقلت له: لعله لك موجهاً وناصحاً قال: لو كان كذا لسرني ذلك ولكن أين النصح من التشهير ولماذا الدخول في النيات وما يعلمها إلا رب الأرباب؟ ثم قال: وهل هو ذنبي أن رزقني الله حسن هذا الصوت؟ ثم يتابع حديثه ويقول: كنت آمل أن أكون داعية إلى الله بحسن صوتي ولكني خُذلت من أقرب الناس إليَّ حتى كدت أقع في مزالق لا يعلمها إلا الله ولكن الله تعالى نجاني برحمته.

نعم كم هي من المواهب التي قتلت بسبب داء الحسد أعاذنا الله منه.

أليس من العجيب أننا نرى في بعض الأماكن أن الدعاة قبل عشر سنوات هم دعاة اليوم وليس غيرهم. ما السبب؟ قد يكون سوء تدبير وتصرف من أولئك الدعاة. ولكننا يجب أن لا نغفل جانب الحسد خاصة

وإذا علمنا أن من أسباب الحسد الخوف من فوت المقصد وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده.

(إن دعوة الإسلام على مدار التاريخ القديم والحديث شهدت حوادث ذات أبعاد مأساوية كان الحسد أبرز أسبابها لا أعني حسد الأبعدين وإنما حسد الأقربين.

وظلم ذوي القربي أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

فكم من فتن أوقدت وأحقاد سعرت بسبب حسد النفوس بل كم من صفوف تداعت وتصعدت وتبعثرت جموعها وتمزقت بفعل حقود خسيس سار بالفتنة دون أن يخشى الله رب العالمين)[1].

---

(١) قوارب النجاة في حياة الدعاة؛ فتحي يكن ١٥ بتصرف.

إن وقوع كثير من الداعاة والداعيات في داء الانهزامية مرده إلى خذلان رفقاء الطريق وأياً كان السبب فقد يكون التجاهل والاحتقار وقد يكون بعدم التشجيع قد يكون حسداً ليس إلا فالنتيجة واحدة.

وعلاج ذلك:

أولاً: أن يعلم الحاسد أن هذه الصفة قبيحة ومذمومة من آحاد الناس وعوامهم فكيف من الدعاة. ولمن؟ لأهل الخير والصلاح أمثالهم ويكفي أن أقول لأولئك أما يكفي تحذير الرسول ﷺ من داء الحسد والتحاسد ومن البغض والتباغض ومن التنافس والتدابر حيث قال: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً**»[1].

---

(١) رواه البخاري ٥/٥٧١٧، ومسلم ٤,٢٥٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فكيف تسوغ لنفسك أن تتصف بهذه الخصلة الذميمة وأنت تجتهد أن تقتفى أثره في دعوتك. ثم ألا تعلم أيها الحاسد أن هذه أرزاق يهبها الله لمن يشاء فكيف بك من خلال حسدك تعترض على قسمة الله تعالى.

أو لا يكفي أن تعلم أن الحسد يدفع بصاحبه إلى ارتكاب كل الحماقات وإلى استحلال كل المكروهات والمحرمات كالنار في اندلاعها وهيجانها تحرق الأخضر واليابس دون أن تلوي على شيء.

وثانياً: فأنت أيها المحسود فإني أقول لك: (عليك يا من ابتليت بحاسد أن تتذرع بالصبر والصلاة وأن تتعوذ بالله من شرور نفوس الناس وشرور ظنهم وحسدهم ولايخرجك الغضب إلى الرد والكيد وإلى اتباع سبيل غير المؤمنين لأنك بذلك تصبح مثلهم وتخسر تميزك وخلقك ودينك وليكن شعارك: اللهم إني تصدقت بعرضي على الناس ولتعلم أن على دعاة

الإسلام أن يتميزوا بخلقهم عن سائر خلق الله)[١].

أيها الداعي والداعية فرقا جيداً بين من أراد النصح لكما وبين من أراد حسدكما فأقبلا من الأول وأعرضا عن الثاني فأنتما تحملان مشعل هداية للناس فلترفعا عن سفاسف الأمور فسيروا على بركة الله ورددوا ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . .﴾ الآية[٢].

٢٠ ـ عدم التربية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكم من شخص خيّر أصيب بداء الانهزامية فأصبح لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر وماذاك إلا بسبب تخلف التربية على هذا الأمر، نعم فكثير من أولياء الأمور لا يربون أولادهم على هذا الجانب. بل ربما رُبي الولد على ترك مثل هذا فنراه مثلًا قد يرى بعض المنكرات التي طالما حُذر منها فيشير إليها منكراً

---

(١) قوارب النجاة في حياة الدعاة؛ ٢٠ بتصرف.

(٢) سوة الحشر، آية: ١٠.

فيكون من نصيبه أن يقال له: (ليس لك دخل في الناس) وبما قيل له: (عيب عليك التدخل في شؤون الناس) فينشأ الولد على أن هذا منكر ليس له دخل في الإنكار فيصاب بالانهزامية، وتلك إي وربِّ قاصمة الظهر أن يربى الأولاد على ذلك، حدثني شخص أنه ذهب بأولاده إلى خالته وكان بين أولاده طفل صغير يقارب الخامسة تقريباً. يقول هذا الأخ وبعد قليل من رجوعي إلى المنزل اتصلت عليَّ خالتي قائلة لقد أثر عليّ ولدك بتصرفه. يقول الأخ قلت: وماذا فعل؟ قالت: رآني عند التلفاز وقال: حرام عليك يا خالة ما تفعلينه فقام وأغلق الجهاز.

وآخر حدثني قائلًا: حدثت طلابي في الصف الرابع ابتدائي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول: فلقيني أحد الطلبة من الغد فقال لي: يا أستاذ عملت بنصيحتك وجدت شخصاً يدخن فقلت له يا عم

يحرق دينك ودنياك. فإذا به يلقي السيجارة ويفركها بقدمه قائلًا: والله لا أعود إلى ذلك أبداً. وإنما أوردت هذين النموذجين لأبين أثر التربية في نفوس الأبناء حتى ولو كانوا صغاراً.

وعلاج ذلك: أن نعلم جميعاً أن تمام التربية للأولاد لا يتم إلا بالقيام عليهم أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ثم بتعليمهم أيضاً الأمر بالمعروف والإنكار على من فعل المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن تربيته على الخير وتحذيره من الشر مع عدم تربيته على الأمر بالخير والنهي عن الشر ليورث عند الولد انهزامية في نفسه تشعره بأنه هو الأدنى لا يجهر بما معه من الحق. وتشعره أيضاً أن أهل الباطل هم الأعلون لجهرهم بباطلهم فيستأنس قلبه ويطمئن لما يرى من المنكرات مع مرور الزمن فيقع في المحذور الذي كنا نربيه على الابتعاد عنه ويترك المعروف الذي

كنا ندله عليه وبالتالي نقع فيما كنا نفر منه.

ثم يجب أن نعلم أن الأولاد اليوم هم رجال الغد وأن التفريط في تربيتهم على هذا النهج القويم سيورث عندنا جيلًا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً وإن كان صالحاً في نفسه. أفلا يكفي مثل هذا حتى نعلم أهمية تربية الأولاد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢١ ـ (من أنا؟ هناك من هو أكفأ مني هناك فلان وفلان) عبارة نسمعها دائماً من أهل خير والالتزام بل ربما كان من طلبة العلم فيتقادم به الزمن وهو يتذرع ويتحجج بمثل هذه الحجة الباطلة فيصاب بالانهزامية، وتعظم المصيبة إذا تبين من حاله للناس أنه من أهل الخير والالتزام فيُفعل المنكر بحضرته ولا ينكر لتعلقه بهذه الحجة الواهية. فيعتقد أولئك القوم جواز مثل هذا ولو كان محرماً لأنكره فلان. فكم نرى من تلك النوعية من تطرق أعتاب المشايخ لأخبارهم عن منكر

وقع يستطيع آحاد الناس إنكاره فكيف وحالته هذه فيعطل نفسه ويشغل غيره بأمر كان بإمكانه القيام به ألا كم أقعدت هذه الحجة الواهية طاقات كثيرة كان لها مستقبل مشرق لو عرفت كيف تتعامل مع هذه القضية بدلاً من الابتعاد عن هذا المجال.

وعلاج ذلك: أن يعلم أولئك قول النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى، قال في الحديث: «ولو آية» أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآية ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ»[٢] وعلى هذا يجب عليك حتى تتخلص من هذه الحجة الواهية أن تعلم أنك مأمور بتبليغ ما تعلم من

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٣٢٤٧ من حديث عبدالله بن عمرو.
(٢) الفتح ٦/ ٥٧٥.

الخير وبإنكار ما تعلم حرمته وما سوى ذلك مما لا تعلمه فأنت فعلًا لا تستطيعه.

إن من علاج ذلك أن تقف مع نفسك لتسألها وتقول: هل قمت أنا بما أستطيع حتى أتذرع بفلان وعلان؟ ففلان من الناس قام بالواجب على حسب استطاعته وأنت يجب عليك أن تقوم بهذا على حسب استطاعتك لأنك مخاطب بقول النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» وغيرك مخاطب بذلك. فقم أنت بدورك حسب استطاعتك وما كان خارجاً عن استطاعتك فانقله لغيرك ممن يستطيع إنكاره وبذلك تبرأ ذمتك.

٢٢ ـ اعتقاد كثير من أهل الخير أن أهل المعاصي راضون بواقعهم، وعدم الشعور بأنهم يعيشون في ضنك من العيش وودوا لو تخلصوا من ذلك. نعم فإن معرفة مثل هذا من أعظم الأسباب لدفع الانهزامية. قال لي أحدهم يوماً بعد هدايته: كنت أنظر إلى أهل الخير

وكنت أود أني مثلهم ولكن مما حز في نفسي والكلام لهذا الأخ أنني كنت أتعمد إظهار المنكر وخاصة رفع المسجل في الغناء يقول: وكنت أفعل ذلك لعل أحداً من الأخيار يقترب مني ليأخذ بيدي. يقول لكن لم يحصل ذلك إلا مرة واحدة قل لي أحدهم يا أخي خفض الصوت واسمعه لوحدك إن كنت تريد ذلك ثم مضى في سبيله».

إن الاعتقاد بأن أهل الباطل راضون بواقعهم يورث عند أهل الخير التأخر عن الإنكار عليهم لأنه يرى من خلال هذه النظرة الخاطئة أنهم يتلذذون بمعاصيهم فكيف يمنعهم من لذتهم، ويرى أنهم سيكونون أهل خصام ومجادلة فكيف إليهم وهكذا تكثر الحواجز نتيجة هذا الاعتقاد الخاطىء، وبالتالي تظهر الانهزامية في نفس الداعية.

وعلاج ذلك: أن نعلم أن أهل الباطل مساكين

وأنهم مرضى ينتظرون اليد الحانية حتى تنتشلهم من هذا الواقع المرير، يجب أن نعلم أنهم يعيشون في ضنك من العيش وإن ابتسموا وضحكوا حتى وإن أكلوا أطايب الطعام وسكنوا أرقى المساكن وركبوا أفخم المراكب فهم في ذل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية أبى أن يفارقهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه).

ولنتأمل جميعاً قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1] قال السعدي رحمه الله: «وبعض المفسرين يرى أن المعيشة الضنك عامة في دار الدنيا بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

والآلام التي هي عذاب معجل[١] إننا يجب أن نتأمل ذلك حتى يكون ذلك دافعاً لنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعني ذلك أننا لا ننكر على من أبدى للناس رضاه بواقعه وربما سب وشتم بل حتى هذا ينكر عليه. وإنما أردت بيان حال أولئك في الجملة وإن شذ منهم بعض الشواذ الذين لا حكم لهم.

٢٣ ـ **الحدة في الطبع وعدم التحمل** وهذا في الغالب يؤدي بالإنسان إلى اعتزال تلك الأماكن لأنه لا يستطيع الصبر على حد تعبيره. نعم اعتزال أماكن المنكرات أمر مطلوب إذا كان الإنسان لا يستطيع استطاعة شرعية إنكار المنكر، ولكن الخلل أن يكون الداعي يستطيع إزالة المنكر لو حضر لكن لحدة في طبعه لا يحضر لأنه لا يستطيع تحمل ذلك ومرة بعد

---

(١) تفسير السعدي ٥/١٩٨.

أخرى يتربى بعد ذلك بل ويربي نفسه على عدم الإنكار فيصاب بالانهزامية، إن غالب أولئك نجدهم بعد فترة من الزمن ونتيجة لسلوكهم هذا الطريق يتمنى أنه لو يستطيع الإنكار ولو بحدة كما كان سابقاً ولكن هيهات وقد تربى على الانهزامية والسلبية فأصبح يطمئن نفسه بواقعه وأنه لا يستطيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نتيجة لتطبعه بهذا الطبع.

وعلاج ذلك: أما مسألة الخلطة والعزلة فقد بينت علاج ذلك عند السبب الرابع من أسباب الانهزامية.

وأما علاج الحدة في الطبع فليس بصحيح أن علاج ذلك هو اعتزال تلك الأماكن وإنما يكون ذلك بتعويد النفس على الحلم. ولا يعني ذلك أن يكون الإنسان سلبياً أمام المنكرات وأن لايتحرك قلبه لذلك بل يجب أن يكون كذلك ومعه الصبر والحلم. فإن الصبر والحلم وصفان متلازمان... وحد الحلم: ضبط

النفس عند هيجان الغضب.

وقد أثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام بهذا الوصف فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[1] إن المحتسب أحوج ما يكون إلى التحلي بهذه الخصلة الكريمة لأنه سيواجه من الناس ما يثيره كثيراً... فإن كان غضوباً لا يحلم فإن البلاء سيكون أعظم في حقه. ثبت عن ابن مسعود.. رضي الله عنه أنه قال: «**كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[2] إن من كان كذلك فقد يخرجه الغضب وحدة الطبع إلى المهاجرة مع أن المصلحة لا تقتضي الهجر ولكن هذا قد يقع بسبب

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٤.

(٢) رواه البخاري ٣/ ٣٢٩٠، مسلم ٣/ ١٧٩٢ بلفظ «رب اغفر ... الحديث».

الغضب»[١] فالعلاج إذاً إنما يكون بالصبر والحلم.

٢٤ ـ الابتعاد عن الرفقة الصالحة فكم من إنسان خير تحقر نفسك عنده في عبادته لكنه اتخذ لنفسه تربية فردية فضمرت عنده الأمور التي تحتاج إلى تربية جماعية ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق شاق يحتاج معه الإنسان إلى الجليس الصالح الذي يؤنس له وحشة الطريق، يصبره إذا ابتلي ويقومه إذا أخطأ ويشجعه إذا أصاب وإن لم يكن كذلك دب إليه داء الانهزامية عند أول عارض يعرض له.

وعلاج ذلك: البحث عن المعين وسبب ذلك أن النفوس يقوي بعضها بعضاً، إضافة إلى ما يكون من جراء ذلك من التواصي والتعاون الذي أمر الله به... ولكي يشد من أزره ويذكره حين الغفلة. قال أبو جفعر

---

(١) من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ خالد السبيت (٢٢٣، ٢٢٤) بتصرف.

الأنباري: «لما حُمل أحمد إلى المأمون أُخبرت فعبرت الفرات فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه فقال: يا أبا جعفر تعنيت! فقلت: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من لناس كثير ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك تموت لابد من الموت فاتق الله ولا تجب فجعل أحمد يبكي ويقول ما شاء الله ثم قال: يا أبا جعفر أعد علي فأعدت عليه هو يقول: ما شاء الله. وقال أحمد ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بما في رحبة طوق: يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً وإن عشت عشت حميداً فقوي قلبك».

نعم لننظر كيف هو أثر المعين من البشر بعد إعانة الله تعالى لقد طلب أحمد من أبي جعفر الإعادة ليتأملها فيقوي قلبه حتى لا يصاب بالانهزام، وصرح ثانياً أن

كلمة الأعرابي كانت سبباً في تقوية قلبه.

إن على الداعية أن يحذر من جلساء الدنيا الذين إن لم يخذلوه بلسان مقالهم حتى إنهم يضخمون له بعض الأمور وأنه لا طاقة له بها.

أقول: إن لم يكن ذلك بلسان مقالهم كان ذلك بلسان حالهم، فالمطلوب من الداعية مع خلطته للعوام لدعوتهم أن يكون له رفقاء في الطريق نفسه حتى يكونوا عوناً له بعد إعانة الله على تثبيته في هذا الطريق. وإلا فسيجد نفسه يوماً وقد أصيب بالانهزامية، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

٢٥ ـ القدوات الانهزامية فكم أورثت مثل تلك القدوات خللاً وانهزامية في نفوس من يرى أن أولئك أئمة في الخير يقتدى بهم، نعم فقد يسافر طالب مع شيخه، وكذا طالب حلقة مع مدرسه ثم يوجد هناك ثمة منكر فلا ينكر هذا القدوة حينها يظن الطالب أن هذا

هو المنهج الشرعي أعني عدم الإنكار حينها يتعامل هذا الطالب مع المنكرات بهذا الشكل فيصاب بالانهزامية، وتعظم البلية إذا كان هناك تسليم مطلق لبعض القدوات من قبل المقتدين بهم في جميع تصرفاتهم فما يراه شيخه حسناً فهو كذلك وما يراه سيئاً هو كذلك.

نعم تلك القدوة المنهزمة أول ثمرة لها سيئة تكون غصة في حلق من اقتدى بها فيتصف بها ثم يأنس بها فلا ينكر بعد ذلك على غيره. ولقد تنبه لخطورة هذا الأمر أبو المنصور الدمياطي فأخذ يحذرالقدوات قائلًا:

أيها العالم إياك والزلل
واحذر الهفوة فالخطب جلل
هفوة العالم مستعظمة
إن هفا أصبح في الخلق مثل
وعلى زلته عمدتهم
فبها يحتج من أخطأ وزل

لا تقـــل يستـــر علمـــي زلتـــي
بـل بهـا يحصـل فـي العلـم الخلـل
إن تكـــن عنـــدك مستحقـــرة
فهـــي عنـــد الله والنـــاس جبـــل
فـــإذا الشمـــس بـــدت كـــاسفـــة
وجـل الخلـق لهـا كـل الـوجـل
وتـــرامـــت نحـــوهـــا أبصـــارهـــم
فـــي انـــزعـــاج واضطـــراب وزجـــل
وســـرى النقـــص لهـــم مـــن نقصهـــا
فغـــدت مظلمـــة منهـــا السبـــل
وكـــذا العـــالِـــم فـــي زلتـــه
يفتـــن العـــالَـــم طـــرا ويضـــل
يقتـــدي منـــه بمـــا فيـــه هفـــا
لا بهـــا استعصـــم فيـــه واستقـــل

فهـــو ملـــح الأرض مـــا يصلحـــه
إن بـــــدا فيـــــه فســـــاد وخلـــــل

نعم إن الناس ينظرون إلى ذلك القدوة أيا كان موقعه ينظرون إلى أعماله وتصرفاته بل وينظرون إلى ما هو أبعد من ذلك فهم ينظرون إلى أهل بيته ويتأملون تصرفاتهم فعلى القدوة أن يتنبه إلى مثل ذلك ولذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: «إني نهيت الناس عن كذا وكذا وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحداً فيكم فعله إلا أضعفت فيه العقوبة».

فإلى متى أيها القدوة تكون عاملاً من عوامل الانهزامية بسوء تصرفاتك أنت وأهل بيتك.

وعلاج ذلك: أن يعلم الداعية إلى الله تعالى حاجته الشديدة إلى تطبيق ما يقول ويدعو إليه حتى يقتدي به

الناس، ولهذا بين ابن القيم رحمه الله تعالى هذه المسألة وشدد في عدم التزامها حيث قال: (علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم، فلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم فلو كان ما يدعون إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق).

ولعلي أذكر للأخ الداعي وللأخت الداعية أهمية القدوة العملية من خلال الأمور التالية علها تكون دافعاً للدعاة إلى أن ينتبهوا لمثل هذه الأمر الهام ومنها:

أ ـ أن المثال الحي والقدوة الصالحة يثير في نفس البصير العاقل الناظر إلى حاله قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة فيميل إلى الخير فيبدأ بمحاولة أن يعمل مثله.

ب ـ أن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل تعطي

الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل والأعمال الصالحة من الأمور الممكنة التي هي في متناول قدرات الإنسان وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

جـ ـ أن أتباع الداعية يضعون قدوتهم تحت المجهر دون علمه فربما مخالفة وقع فيها وإن كانت يسيرة عدها أولئك من الكبائر لأنهم يعدونه قدوة لهم.

د ـ أن مستويات الفهم والكلام عند الناس تتفاوت ولكن الجميع يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة. فالناحية العملية أبلغ في إيصال المفاهيم سواء أكان العمل سلبياً أم إيجابياً ولذا البخاري بوب باباً قال فيه: (باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ثم ساق الحديث: «**اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي ﷺ إني اتخذت**

خاتماً من ذهب «فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم»[١].

قال ابن بطال: «فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول».

هـ - أن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم والصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم كانوا قدوة حسنه لأقوامهم، وهذا يدل على عظمة وأهمية القدوة الحسنة ولهذا قال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[٢][٣].

---

(١) رواه البخاري ٦/٦٨٦٨، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) سورة هود، آية: ٨٨.

(٣) العلاج من كتاب مقومات الداعية الناجح؛ سعيد القحطاني ص٣٣٢-٣٢٤ بتصرف.

فياليت الدعاة إلى الله تعالى يتأملون هذه الأمور وغيرها من الأمور التي تبعث في النفس إصلاح هذا الخلل حتى يكونوا قدوة صالحة للمقتدين بهم ليربوهم على معالي الأمور لترحل بعد ذلك صفة الانهزامية من النفوس وذلك لا يتم إلا عن طريق قدوة يطبق الإسلام في كل دقيق وجليل والتي منها جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما أنت أيها المقتدي فإني أقول لك كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر) ويشير إلى قبر الرسول ﷺ. ثم إن من الواجب عليك إن رأيت من قدوتك ما يشكل عليك أن تسأله فإن كان ذلك الأمر على وفق شرع الله حمدت الله وشكرته ودعوت له وإن كان غير ذلك فعليك أولًا: أن تعلم أن من طبيعة البشر الخطأ.

وثانياً: أن تستدرك عليه ما أخطأ فيه والزم بذلك حدود الأدب مع شيخك. وإياك إياك نشر خطأ قدوتك.

٢٦ ـ استخدام الإنسان أدنى درجات الإنكار ـ الإنكار بالقلب ـ مع استطاعة الإنكار باليد أو اللسان. فكم من إنسان استخدم الإنكار بالقلب مع قدرته على غيره وهكذا كان دأبه حتى أصيب بالانهزامية فأصبح بعد برهة من الزمن يتمنى أدنى درجات الإنكار ولكن هيهات هيهات فقد قضي على هذه البقية بسوء أفعاله وتصرفاته. ولا يحتاج ذلك إلى إيضاح وبيان فالواقع شاهد بذلك.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الداعية قد يكون يستعمل هذه المراتب الثلاث حسب استطاعته وقدرته وحسب المصلحة وهو لا يألوا جهداً في ذلك ولكن نتيجة لحسد حاسد أو أذية مؤذي يقتصر بعد ذلك على الإنكار بالقلب ليبدأ من هذه النقطة مسلسل الانهزامية.

وعلاج ذلك: أن يعلم الداعية إلى الله تعالى أن الأصل في هذا حديث أبي سعيد مرفوعاً: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1].

قال السفاريني رحمه الله تعالى:

فاصبر وزل باللسان
لمنكر واحذر من النقصان

وقال في شرحه: واحذر من النزول عن أعلى المراتب حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك إلى أوسطها وهو الإنكار باللسان إلا مع العجز عن ذلك، ثم إنه لا يسوغ لك العدول عن التغيير للمنكر باللسان وأنت تقدر عليه إلى الإنكار بقلبك وهو أضعف الإيمان، فلذا احذر من النقصان.

---

(١) رواه مسلم ١/٧٨ من حديث طارق بن شهاب.

وقال أحمد: هو باليد مع القدرة وباللسان عند عدم المكنة وبالقلب عند خوف الفتنة والعجز عن القيام بالفريضة وهو أفضل.

وهذ هو الأمر بالمعروف لدى أهل العلم سلفاً وخلفاً اقتداءً بالنبي ﷺ[1].

فيا مريداً لبقاء الغيرة في قلبه عليك باستخدام هذه المراتب الثلاث حسب القدرة والاستطاعة وإلا فإن داء الانهزامية مرتبة رابعة تقبع خلف مرتبة الإنكار بالقلب إذا اقتصرت عليه وتستحثك الخطى لتقع في شراكها.

٢٧ ـ **السخرية والاستهزاء**، فكم من داع وداعية سلكا طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما يظنان أنه طريق مفروش بالورود فيتخليا عن هذا

---

(١) العلاج من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ لخالد السبت من ص٣٢٣ ـ ٣٢٥ بتصرف.

الطريق بسبب سخرية ساخر فيصاب الواحد منهم بعد ذلك بالانهزامية لتيخلى عن مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو لسنا نسمع كثيراً مقولة: «أنكرت عليهم فكان حظي السب والشتم لن أكررها ثانية حتى لا يصيبني ذلك مرة أخرى» كم من الناس من يحمل في جنباته الخير يتمعر لرؤية المنكر ويتضايق ويتكدر لوجودها ولكن يقعده عن ذلك السخرية والاستهزاء يتذوق طعمها مراً وعلقماً في أول الأمر ثم لا يعود إلى ذلك مرة أخرى فيصاب بعد ذلك بالانهزامية.

وعلاج ذلك: أن يتأمل كل واحد منا سيرة خير البرية بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام لقد أوذي وسب وشتم، قيل له: ساحر وقيل له: مجنون وكاهن قيل له: إنما يعلمه بشر، بل ويُغرى به سفهاء الطائف وصبيانهم وألقي عليه سلا الجزور، فما من وسيلة مستحقرة مستهجنة إلا جربت في حقه بأبي هو وأمي،

بل إني أقول: إن المتأمل لحاله ﷺ يجد أن أذية اللسان بالسب والسخرية والتهكم هي أدنى أذية نالت منه ﷺ. نعم لقد مارسوا معه أساليب أخس وأحقر من السخرية والاستهزاء فاتُهم في عرضه بقذف عائشة الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات. بل ومارسوا معه حتى الأذى الجسدي وحصر ذلك يطول ولكنها إشارة إلى مراجعة سيرة سيد البشر لنستلهم منها الدروس والعبر. وهكذا كان رسل الله من قبله. وهكذا كان صحابته من بعده فهل يا ترى أقعدتهم مثل هذه الحوادث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ كلا بل زادتهم تلك المحن والبلايا قوة وصلابة. بل لقد عد النبي ﷺ مثل هذه منح من الله تعالى حيث قال: «. . . **يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه**

خطيئة»[١].

نعم على الداعية أن يعلم أيضاً أنه حينما يأمر بمعروف وينهى عن منكر فليعلم أنه يأمر وينهى أقواماً قد ألفوا ذلك تركاً للأمر وفعلاً للنهي بل ربما صار ذلك جزءاً من أعرافهم وعقائدهم عليها نشأوا وترعرعوا فأي شيء ينتظر منهم بعد ذلك. فإن الداعية إذا تأمل ذلك فإنه حري به أن يستعد لما يلاقيه من الأذى والمحن.

ولولا خشية الإطالة لذكرت نماذج من ذلك ولكني أعرضت عن هذا لما سبق ذكره والرغبة في أن يخصص الداعية جزءاً من وقته لقراءة سير أولئك علّها تكون زاداً له في هذا الطريق.

---

(١) رواة الترمذي ٧/ ٢٤٠٠، وابن ماجه ٢/ ٤٠٢٣ والدارمي ٢/ ٢٧٧٩، وأحمد ١/ ١٧٤ من حديث سعد بن أبي وقاص.

٢٨ ـ الانتقال إلى بعض الأماكن التي تكون أكثر انفتاحية. نعم فعهدنا به داعية إلى الله تعالى يترك ما لابأس به حذراً مما بأس به. عهدنا به ورعاً تقيًّا، ثم ما يلبث إلا أن ينتقل إلى مكان أكثر انفتاحية فيوغل حينها في المباح إكثاراً منه ليستجيب بعد ذلك للمكروه ليقع في المحرم بعد ذلك، وفي أقل الأحوال يعيش في ذلك المكان على أنها فترة ويرجع لا يأمر خلال تلك الفترة بمعروف ولا ينهى عن منكر شعاره اللهم سلّم سلّم ليقعد في ركب المنهزمين لتلحقه بعد تلك الصفة الممقوته أينما حل وارتحل. ليبحث بعد ذلك عن الغيرة وإذا هي قد ماتت في أحضان الانهزامية.

وعلاج ذلك: أن يعلم الداعية أنه لم يكن له من الإيمان بالله رادع ومن العقيدة دافع ومن الشعور بالمسؤولية إحساس فإنه سرعان ما يعتريه اليأس، ويتملكه القنوط ويقعد في شعاب المنزوين اليائسين.

يجب أن يعلم الداعية أنه لا يعيش لقضيته في بلد معين. وإنما هو يعيش في أي بلد لقضيته. نعم لا ينكر أن البيئة المحافظة لها دور في ثبات الشخص وصبره ولكن لا يعني ذلك أبداً أن يكون الإنسان فيما عدا ذلك هشاً ليناً يصاب بالانهزامية عند أدنى عارض، نعم لقد بقي الصحابة في أول الإسلام في قلة وثبتوا وانتقل منهم من انتقل للحبشة وثبتوا ثم هاجروا إلى المدينة فكانوا أكثر ثباتاً، نعم لقد كانت الحبشة كل ما فيها أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد. ولكنها غير تلك البيئة التي تربى عليها الصحابة في مكة ومع ذلك ثبتوا على ذلك لأنهم يعيشون لقضية. فثبتوا ثبات الجبال لقناعتهم بقضيتهم. بمعنى أنه يجب أن يربي الداعية نفسه على الثبات على المباديء وعلى الاعتزاز بقضيته وبمعنى أصح ألا يكون كما يقال «مع الخيل ياشقرا».

٢٩ ـ ترك الاحتساب على البعض بحجة أنه

لا يسمى عاصياً بذلك كالصغير مثلًا، وأحياناً أخرى ترك الاحتساب على الخادمات[١] مثلًا بحجة أنها ليست من هذه البلاد فلها أن تفعل ما شاءت أو على الأصح يتهاون في حقها مالايتهاون في غيرها. فهذا السبب من أسباب الانهزامية أما كيف ذلك؟

أما بالنسبة للشخص الداعية فقد ينكر ذلك من غير هذين الصنفين وأمثالهما لكنه مع كثرته ورؤيته في الواقع قد يصاب بتبلد الإحساس وكما قيل: إذا كثر الإمساس قل الإحساس، لأن من أهم عوامل بقاء الغيرة في النفوس إنكار المنكر وعدم إقراره.

وأما بالنسبة لذلك الطفل فترك الاحتساب عليه يورث عنده انهزامية في نفسه لأنه تعود على مثل هذا الشيء فكيف ينكره على غيره إذا شب وكبر وقد تقدم

---

(١) ليس هذا إقراراً بوجود الخادمة وإنما لاستقدامها شروط ذكرها العلماء.

أن من أسباب الانهزامية عدم تربية الطفل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم هناك فريق ثالث وهم الكبار من ليس لهم هم في الدعوة مع الأسف فهؤلاء مع كثرة ما يرون من هذه المخالفات في الصغار والخادمات وغيرهم يظنون مع ذلك لجهلهم ولسكوت الأخيار عن ذلك أن هذا لا بأس به شرعاً أو على أقل الأحوال قد ينكرون بقلوبهم وجود ذلك في غيرهم لكنهم لا ينكرون وجود هذا المنكر في صنف من كرناه.

وعلاج ذلك: أما بالنسبة للصغار فيجب أن يُعلم أنه لا يعني كونهم لم يكلفوا أن لهم أن يفعلوا ما شاءوا أو يفعل بهم وليهم ما شاء. بل الواجب تربيتهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم في دينهم ودنياهم وإن حصل خلاف ذلك فالإثم على وليهم. قال الشيخ محمد بن إبراهيم رضي الله

عنه: (والذي لم يميز يؤدب على ارتكاب المعاصي دون ذلك ـ أي الحد ـ الصغير أبوست يحال بينه وبين المحرمات كأكل الميتة فينهر ويعلم ولا يترك يأكل الميتة أو يشرب خمر والإثم على أهله إذا ما لقوه ولا علموه)[١]. وأما بالنسبة لغيرهم من الخدم والخادمات والعمال فلا يليق بعامة الناس أن يعتقدوا أن ترك الاحتساب عليهم سائغ فكيف بالدعاة إلى الله تعالى.

فيجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والاحتساب عليهم كغيرهم حفاظاً على نفس الداعية حتى لا تنطفىء الغيرة في قلبه. وحفاظاً على عامة الناس حتى لا يصبح المعروف عندهم منكراً والمنكر عندهم معروفاً وتربية لأبنائنا على ألف المعروف ومحبته وإنكار المنكر وبغضه وحتى لا نصاب جميعاً بالانهزامية.

---

(١) فتاوى الشيخ ١٢/ ١٠.

الخـاتمـــة

وبعد فهذا ما تيسر جمعه في هذه الرسالة التي أردت من خلالها بيان بعض أسباب الانهزامية، التي أدت بكثير من الناس إلى ترك مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علّها تكون باعثاً على إيقاظ الهمم الميتة حتى تكون مشعل خير تفعل الخير وتأمر به وتنأى عن الشر وتنهى عنه. فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان منه. والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣
الانهزامية ٥
الشرع ينبذ ذلك ٦
من صور الانهزامية ١٠
من مظاهرالانهزامية ١٣
الأسباب والعلاج ١٩
١ـ ضعف الإيمان بالله ٢٠
٢ـ ضعف جانب العبادة ٢٤
٣ـ عدم تصور أضرار المعاصي ٢٥
٤ـ الانعزال وعدم مخالطة الناس ٣٠
٥ـ الحياء المذموم ٣٦
٦ـ التردد على أماكن اللهو ٣٩
٧ـ الانغماس في ملزات الدنيا ٤١

٨ـ التحجج بمعرفة الناس للحق ٤٨
٩ـ عدم تصور فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ٥٣
١٠ـ الخوف من الرياء ٥٩
١١ـ المصائب ٦٤
١٢ـ ترك الاحتساب ٦٩
١٣ استعجال الثمرة ٧٣
١٤ـ ضغط الأهل ٧٧
١٥ـ عدم الشعور بالمسؤولية ٨٦
١٦ـ وقوع الناهي عن المنكر ببعض المعاصي ٨٩
١٧ـ الفهم الخاطىء للآية ﴿ياأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم﴾ ... ٩٠
١٨ـ استطالة الطريق ٩٢
١٩ـ الحسد ٩٦
٢٠ـ عدم التربية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ١٠١
٢١ـ (من أنا؟! ١٠٤
٢٢ـ هل أهل المعاصي راضون بواقعهم؟! ١٠٦
٢٣ـ الجِدة في الطبع ١٠٩

٢٤ـ الرفقة الصالحة ١١٢
٢٥ـ القدوة الانهزامية ١١٤
٢٦ـ الإنكار بالقلب ١٢٢
٢٧ـ السخرية والاستهزاء ١٢٤
٢٨ـ الانتقال إلى الأماكن الانفتاحية ١٢٨
٢٩ـ ترك الاحتساب على بعض العصاة ١٢٩
الخاتمة ١٣٣